

محمد قشتاليو

حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا

ودورهم خارجها

منتديات أهل الحديث في تطوان



الطبعة الأولى 2001

www.tetouanhadit.com

محمد قشيلي

حياة الموريسكوس الأمازيغية بإسبانيا ودورهم خارجها

الطبعة الأولى 2001

الكتاب : حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها

المؤلف : محمد قشتيليو

رقم الأيداع القانوني : 2001/1407

الطبعة الأولى سنة : 1422 هـ (2001م)

المون : نفس المؤلف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبع : مطابع الشويخ - تطوان. تلفون : 039 96 50 09.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن السبب الرئيسي الذي حملني على التنقيب والكتابة في هذا الموضوع راجع إلى دافعين أساسيين :

1- رغبة عدد من طلاب الجامعات بالمغرب في الحصول على معلومات عن الموريسكوس يستعينون بها في أبحاثهم من خلال إصداراتي السالفة «محنة الموريسكوس في إسبانيا» و«تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان»، فهذان الكتابان نفذت نسخهما، وإعادة طبعهما يعد أمرا صعبا بالنسبة لي، حيث أن الأول طبع على نفقتي الخاصة، والثاني من طرف دار للنشر، اختفت وأقفلت أبوابها.

2- حصولي على معلومات جديدة تتعلق بالهجرات الأخيرة للموريسكوس من إسبانيا إلى المغرب، وخاصة مدينة تطوان في أواخر القرن السابع عشر.

إن هدفنا السامي هو خدمة العلم في الدنيا ونيل الرحمة والرضوان في الآخرة عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو ولد يدعو له أو علم ينتفع به».

وقد ارتأينا أن نطلق على هذا البحث اسم : «حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها». فما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة

إن الأمة الإسلامية الإسبانية التي أطلق عليها اسم المورييسكوس قد لعبت دورا هاما في إسبانيا قبل أن تطرد كلياً ويصفى أثرها نهائياً من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد قرن ونصف من الزمن، أقامته بأرضها بعد سقوط غرناطة، فقد كانت هي العمود الفقري في الحياة بشتى أنواعها وخاصة منها الاقتصادية، فبعد خروجها من إسبانيا في أواخر القرن السابع عشر، انهار الاقتصاد وتدهورت الصناعة وعمت الأزمات بجميع أشكالها، وحل الفقر محل الغنى والجوع محل الشبع، والبطالة محل العمل إلى غير ذلك، وهذا ما أكدته بعض الباحثين الإسبان مثل : «خوليو كاروباروخا» في كتابه «مورييسكوس مملكة غرناطة» حيث يقول : انه من المؤكد أن مدينة ألمرية ونواحيها ظهر فيها فتور اقتصادي طوال القرن السابع عشر بسبب الصدمة التي منيت بها الصناعة التقليدية والفنية التي أصبح يلاحظ تقلصها من جراء الهيمنة الاقتصادية على البلاد علي يد القشتاليين الذين عملوا على قطع كل العلاقات المادية بجميع أنواعها بطرق وحشية مع الشمال الإفريقي، هذه العلاقات التي توطدت منذ قرون. ويضيف نفس المؤلف : فالحياة الاقتصادية كما هو معلوم لم تكن تخص تبادل الإنتاج الإقتصادي فقط بل كانت تخص أيضا العلاقات بين الأشخاص الذين يعملون من أجله وينشؤونه وينموه - انتهى كلام المؤلف.

بعد قطع الصلة بين الضفتين بطرد العنصر الإسلامي، غادر

المورييسكوس بلادهم متوجهين إلى عدة أقطار في إفريقيا، وأوروبا وآسيا، لكن المغرب هو الذي أخذ حصة الأسد لقربه من شبه الجزيرة الإيبيرية، وللعلاقات العائلية التي كانت موجودة بين سكان الضفتين، فكان كل من الأندلسي والمغربي تجمعهما المصاهرة، فأحياناً كان أحد العنصرين يقضي يومه في ضفة ثم يعود ليلاً إلى زوجته في الضفة الأخرى، فلم تكن هناك حدود سياسية، فبلاد الإسلام كانت واحدة، فلذلك ذهب المورييسكوس بأولادهم وصناعتهم وخبرتهم إلى الضفة المغربية، واستوطنوا بها، وخاصة بمدن الشواطئ كتطوان والرباط وسلا. فكانوا يأتون بنية الجهاد لكونهم كانوا خبراء في أمور الجيش والبحر. وبعد استقرارهم قاموا بأعمال شتى في جل ميادين الحياة، وستتطرق في هذا البحث لبعض منها.

لقد كانت محاربة المورييسكوس بالدرجة الأولى من طرف الكنيسة حيث وقفت لهم بالرصاد، ولم تكن تنظر إليهم بارتياح نظراً لتشبتهم بالعوائد الإسلامية، وإن كانوا قد تنصروا تحت الضغط، ولكن في مظهرهم فقط «ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

حاولت الكنيسة إضعافهم والتقليل من سطوتهم بل والقضاء عليهم وإفناءهم، فألحت غير مرة على الملك بأن يطردهم من مملكة غرناطة، وقد كان هذا وقت الملك كارلوس الخامس في سنة 1526، كما ألحت الكنيسة كذلك على مجلس الكورطيس في هذا الشأن سنة 1565، وتم هذا من طرف الجماعة العليا للقساوسة الذين اجتمعوا وقرروا أن كل غازي سواء كان حراً أو أسيراً أو

رقيقا موجودا بتلك المملكة فإنه لا يصلح إلا لتعليم قرآن محمد
وتقاليد وعوائد الموروس أو تعاليم من بربريا (أي بلاد المغرب).
ويقول الباحث نيكولاس كابريرا « لا ينكر أن الكنيسة كانت
تعرف وتقدر القوة الروحية والأخلاقية للموريسكوس » لقد كان
المنصفون من النصارى يعرفون قيمتهم وخاصة الأغنياء والنبلاء
حيث كان عدد كبير من الموريسكوس يوجدون في خدمتهم،
فكان هؤلاء الأغنياء يتباهون بهذا، ومنهم من يقول : عندي الأورو
والمورو أي الذهب، والموريسكي.

على كل حال فقد أتينا بهذه العجالة كمقدمة ليتضح للقارئ
أن الموريسكوس لم يكونوا وحدهم الخاسرون من جراء قطع
الصلة بين الضفتين، بل الإسبان كذلك، وقبل أن نتطرق لدور
هذه الأمة خارج وطنها، سنحاول أن نستعرض آخر نشاطاتهم
في بلدتهم الأصلي، وما كانوا يقومون به في عدة ميادين، وقد
اعتمدت في ذلك على مراجع حديثة لمؤلفين إسبان من الجيل
الحالي الذي تفتح على الحقائق وتحرر من عصبية الكنيسة المقيتة
واعترف بما هو مدون في الوثائق التي كانت مغمورة ومطمورة
في روافد خزانات الكنائس ومحظورة على الباحثين النزهاء
والعلماء الأجلاء.

حياة المورييسكوس الأخيرة بإسبانيا

I - نظرة شاملة عن وضعيتهم الاجتماعية والدينية

اتبع النصارى سياسة التبشير اتجاه المورييسكوس لتنصيرهم، لكن بعض الحاكمين لم ينتظر نتيجة التبشير الذي كان يطبق بل استعملوا العنف والإرهاب للقضاء على المورييسكوس. ونذكر في هذا السياق ما قام به الكاردنال ثسنيروس الذي ارتكب أفظع الجرائم، ففي ناحية جبال البوشرات قام أحد معاوني هذا القس المجرم وهو الكوندي دي ليريا بتحطيم مسجد على من بداخله، وقام بذبح الرجال وبيع النساء والأطفال كرقيق.

بعد إفراغ الأراضي من أصحابها المورييسكوس عملت الحكومة على استقدام نصارى قدماء من نواحي إسبانيا لتعمير هذه الأراضي، فقدموا مصحوبين بالجيش، ومنحت لهم الأراضي الفلاحية بواسطة مراسيم ملكية صادرة عن الملوك الكاثوليك كما أن وضعيتهم أصبحت كموظفين من قبل الإدارة القشتالية، وصار هؤلاء المهاجرون الجدد كجزء من سلالات آرية وكاثوليكية وسط بحر من أناس ينتمون إلى أصل عربي أو بربري. وقد أتى هؤلاء المعمرون بعادات جديدة كما كانوا يحسبون أنفسهم أعلى وأسمى من غيرهم، ويتباهون بعوائدهم وديانتهم. كما كانوا يتعاطون للفن وركوب الخيل إلى غير ذلك، لكنهم لم يكونوا يقومون بالأعمال المتعبة، مثلاً الزراعة، فكان أن نتج عن ذلك نزول ملحوظ في الإنتاج، فعم القحط والكساد، وخاب بذلك ظن

المسؤولين السياسيين باتخاذهم قرار طرد اليد العاملة الموريسكية وتعويضها باليد العاجزة من نصارى قشتالة وليون وغيرها من المقاطعات الشمالية التي لم يكن أهلها يتعاطون مهنة الفلاحة ولا يقدرّون على تحمل التعب الناتج عنها.

رغم تنصر بعض الموريسكوس، كانوا يعاملون معاملة التمييز العنصري، فكان النصراني القديم يحسب نفسه أسمى وأشرف من النصراني الجديد، وكان هذا التمييز يطبق حتى في الوثائق الرسمية والمعاملات القضائية وكذلك الأمور الدينية التي تديرها الكنيسة ولو أن الأمر يتعلق بنصاري (أي الموريسكوس المتنصرين). وإذا حدث أن حررت شهادة بأسماء متشابهة بين نصراني قديم وآخر جديد وأخفي ذلك على الوثوق أو على السلطة، يلزم القانون النصراني الجديد بأداء ذعيرة للنصراني القديم، وكانت هذه الذعائر تمثل عبئا ثقيلا على الموريسكوس مقارنة مع مستوى معيشتهم.

ووصلت الضغينة بين المجتمعين إلى كون أن تاجر الحبوب البسيط مثلا يحتج وبشدة إذا حصل وتشابه اسمه مع موريسكي. أما بالنسبة للطبقة الأرستقراطية فالبون أصبح شاسعا بينها وبين المورسكيين.

فنظرا لما سلف ذكره، أصبح المورسكوس منبوذين في أرضهم رغم كونهم كانوا قد غدوا مندمجين في المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه حيث أن التفريق بين المورسكي والنصراني كان من الصعوبة بمكان لغة وهنداما ودينا. فالنصراني القديم يحسب نفسه هو المسيطر والمحرر للأرض. كان النصاري القدماء يعملون

كل ما في وسعهم لاكتشاف الموريسكي أو النصراني الجديد حتى لا يقع التباس ويعامل هذا الأخير معاملة عادية، فكانوا يظنون أن البعد عن الموريسكي واجب للمحافظة على نقاء دمهم، وكمثال على ذلك : في عام 1564 أوصى أحد نصارى ألمرية وكان من أكبر ملاكي الأراضي بالمدينة أن لا يتزوج من سلالة أحد من نصرانية جديدة أو موريسكية أو يهودية، وذلك بغاية المحافظة على عراقة أصله (حسب منظوره).

لم تؤدي هذه العقلية إلى النتيجة المتوخاة، بل عملت على التفرقة وابتعاد النصارى الجدد عن القدماء نتيجة المعاملة السيئة. فكان هذا عكس ما كان يريده الكاردنال طابرا الذي كان يعمل على توحيد كل من دب على ديانتهم بعكس ما فعله الكاردنال ثيسنيروس.

أصبح الموريسكوس من جراء ما سلف ذكره متشبهين أكثر وأكثر بالعوائد الإسلامية مبتعدين بذلك كل البعد عن تقليد النصارى القدماء وبدأوا يتشبهون بالطقوس التي يجدون فيها هويتهم، كما أن ظاهرة جديدة طفت على السطح كما يروي ذلك المؤرخ «مارمول». فقد أخذت مجموعة من الموريسكوس المحظوظين والذين كانوا يمتلكون أراضي زراعية في توحيد واجتذاب من كان يعمل معهم من مزارعين أو رقيق وهم أحرار من الموريسكوس فيكونون بذلك اتحادا يواجهون به أعداءهم على شكل ما يسمى في المغرب «العزوة»، وهي عبارة عن عشيرة لها رئيسها كما كان عند العرب في الجزيرة العربية. وقد ورد عن بعض المؤرخين الإسبان أن هذه المجموعات

تنحدر من العهد الإسلامي وتبدأ أغلب ألقابهم بكلمة ابن كابن طابلا مثلا أو ابن كوازيل أو ابن طورافي إلخ...
وكما كان يلاحظ أيضا بمدينة ألمرية مجموعة تدعى واطا "wata"، وهي عشيرة موريسكية من أصل غرناطي فضلت التنصر على أن تغامر بالذهاب إلى شمال إفريقيا كما فعل أبو عبد الله وبعض العشائر الأخرى، وكان رئيس المجموعة السالفة الذكر ويدعى ضون ألونصو أبيز، يتمتع بتقدير واحترام الموريسكوس لكونه من سلالتهم، كما كان يحظى أيضا بتقدير من الملك فعينه حاكما على ألمرية. وقد فكر الموريسكوس في ترشيحه ملكا عليهم أثناء ثورتهم الشهيرة بجبال البوشرات بضواحي غرناطة عام 1568.

غير أن الموريسكوس المتمتعين بالثروة فضلوا الابتعاد عن كل ما له صلة بالسياسة، فبقوا بذلك محتفظين بقصورهم وعقاراتهم، مع المحافظة كذلك على عوائدهم الإسلامية. ومن بين ما يحكى عنهم أنهم كانوا يملكون عبيدا سودا، فكانوا يحررون البعض منهم ويعطونهم المال والعقار بل منهم من كان يرتبط بهم بالزواج، ومن بين هؤلاء بعض المرتزقة رحلوا من إفريقيا إلى إسبانيا لمساعدة الموريسكوس في حربهم ضد الملوك الكاثوليك، فاستقروا هناك واندمجوا مع الموريسكيين وقد أطلق النصارى عليهم لقب «الغازي»، كانت تصرفات الموريسكوس فيما يتعلق بالأمور الدينية في غاية كبرية من السرية، ورغم ذلك يفتضح أمرهم في بعض الأحيان، إما اضطرارا أو بمحض الصدفة.
كان الموريسكوس يتعبدون خفية داخل بيوتهم أو في

مغارات داخل الجبال كما روى ذلك المؤرخ بدرو لونكاس. كما كانوا يعلمون أبناءهم سرا شؤون الدين الإسلامي، ولو أن بعض الفرائض كان يصعب تطبيقها كإيتاء الزكاة مثلا خوفا من فتضاح أمرهم. إلا أن أفراد المجتمع القروي الموريسكي كانوا يزاولون شعائرههم بأقل خشية من إخوانهم في الحواضر. فكانوا يصومون رمضان ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير. أما الموريسكوس الذين كانوا سجناء، فكانوا يؤدون واجباتهم الدينية بدون خوف، ويفضلون الموت استشهادا إذا اضطروا لذلك.

كان رجال الكنيسة بالمرصاد لكل ما له صلة بالشعائر الإسلامية وحتى يتضح هذا جليا للقارئ ندرج بعض ما قامت به كنيسة.

لقد منعت الكنيسة استعمال «الحنة» لظنهم أن هذا الأمر هو من طقوس الموريسكوس الدينية، مع العلم أنها كانت عادة تستعمل في بعض الأقطار الإسلامية كالغرب وتونس وغيرها سواء في الأعياد أو المناسبات العائلية أو حتى من الناحية الصحية. فالمسيحيون طبقوا المنع لكونها عادة تخص المسلمين، وكان هؤلاء كثيرا ما يستعملونها ويتباهون بها خاصة في الاحتفالات الخاصة بالأولياء في الأضرحة وهو ما يسمى في المغرب «بالعمارة». كما أن رجال الدين المسيحي كانوا يتضايقون من استعمال لموريسكوس للحمامات، فقد استمر استعمالها بالمرية مثلا إلى غاية القرن السادس عشر.

كان الموريسكوس يمتنعون عن أكل لحم الخنزير حيث لم يُشر ولو مرة واحدة في الوثائق الرسمية الخاصة بالفلاحة والماشية إلى

الخنزير. كما أنهم كانوا يقومون بذبح الأبقار والأغنام على الطريقة الإسلامية، فكان هناك رجل خاص يقوم بعملية الذبح حيث يضع الذبيحة اتجاه القبلة ويتركها حرة بعد الذبح حتى يستنزف دمها، كما كان الموريسكوس حريصون على أن يكون لهم في الجزيرة مكان خاص بهم ودكان خاص به جزار منهم.

كان الموريسكوس يستعملون اسمين : اسم إسلامي، وآخر مسيحي، فالأول خاص بهم يتداولونه فيما بينهم بينما الثاني يستعملونه في الوثائق الرسمية والمعاملات الإدارية، وكانوا عادة يدلون بالاسمين معا لدى الدوائر الرسمية، وذلك ربما ذرءا لكل التباس. وفي غالب الأحيان استمر تداول الاسم الإسلامي فقط وخاصة لدى الطبقة الفقيرة والمتوسطة، كما أن كثيرا من الموريسكوس اتخذوا ألقاب أسيادهم أو الشخصيات التي كانوا في حماها، وغالبا ما كانت هذه الأسماء تنطق محرفة بعض الشيء وذلك حسب لهجتهم ولغتهم الأصلية، وهذا ما وقع بالمغرب مثلا حيث ينطق بعض المغاربة أسماء بعض المستعمرين الإسبان محرفة، فإسبانيان ينطق شطيبا وأنطونيو طونيو إلى غير ذلك.

وكل ما أسلفنا ذكره موجود في وثائق رسمية تدل على التعامل في البيع والشراء وغير ذلك بالإسمين الإسلامي والمسيحي.

كان الموريسكوس بمملكة غرناطة يعتمدون الزواج على الطريقة الإسلامية كأداء الصداق مثلا. وجرت العادة بأن يجهز الآباء بناتهم بأثاث البيت، وكانوا كذلك يعطون إعانة لأزواج بناتهم لتخفيف العبئ عنهم، وتقدم الأشياء التي يأتي بها أب العروسة أمام الحاضرين حيث يقبلها العريس مبديا ارتياحه.

كانت عادة الموريسكوس أن يقيموا حفل الزواج في شهر
شتنبر بعد جمع المحصول الفلاحي، وكانت هذه عادة أهل البادية
لتي كان معظم الموريسكوس مستقرين بها، الشيء الذي كان
يسمح لهم باتباع العادات الإسلامية لأنهم بعيدون عن كل رقيب.
كانت طريقتهم في عقد النكاح هي الذهاب إلى مكتب أحد
الكتبة العامين (بمثابة العدول بالمغرب)، فيذهب كل من العروس
والعريس وأولياءهما والشهود المتفق عليهم. يقوم الكاتب العمومي
بتدوين ما أعطي كصداق في وثيقة رسمية مخصصة لذلك
بالتفصيل، حيث ينص على معدن الحلي مثلا ذهب أو فضة،
وأصناف الثياب من حيث الشكل واللون والنوع (حرير، خيط،
صوف...).

واستنادا إلى وثائق الصداق التي تنص على شكل الثياب
أجمع المؤرخون على أن النساء الموريسكيات حافظت على الهندام
الإسلامي حتى سنة 1567. كما أنهم (أي المؤرخين) لم يعثروا على
أي أثر في الوثائق الرسمية لأي رمز مسيحي كصور القديسين مثلا
كما كان الشأن بالنسبة لزواج المسيحيين. وهذا دليل قاطع على أن
الموريسكوس لم يكونوا في أغليبتهم في يوم من الأيام نصارى
حقيقيين.

ونظرا لهذا أصدرت الملكة «خوانا» في سنة 1511 مرسوما
يمنع الخياطين من مزاوله الخياطة على الطريقة الموريسكية. وفي
سنة 1513 منعت المرأة الموريسكية من الخروج متحجبة، وكذلك
فعل الملك كارلوس الخامس سنة 1526. ورغم كل هذا حاول
نوريسكوس بكل الوسائل إبقاء زيهم الإسلامي التقليدي مزخرفا

بألوان زاهية على عكس لباس النصارى الذي كان قاتم اللون. وقد وصف بعض المؤرخين الإسبان لباس نساء الموريסקوس كما يلي: «كانت الموريسكيات تستعمل «الصايا» أو «الفالضا» من ثوب الملف، وقمصانا مقبوضة بالسراويل التي تصل إلى الكعب وسلهام طويل يصل إلى نصف الرجلين، وجوارب مزخرفة ومطروزة بالحرير». وكانت الموريسكيات ترسلن إلى شمال إفريقيا في طلب بعض الملابس والحلي لفقدانها بإسبانيا. أما الرجال فقد بدأت طريقة القشتاليين في اللباس تغزوهم تدريجيا.

كان الموريסקوس يحضرون لزوجاتهم نساء موريسكيات لمباشرتهم أثناء وضع المولود، كما كان الموريסקوس يتركون وصية قبل وفاتهم بأن يدفنوا بمقبرة النصارى الجدد لأنهم كانوا يرفضون أن يدفنوا مع النصارى القدماء، أما بالمرية فقد كانت هناك مقبرة خاصة بالموريسكيين، ولكن بهذا الصدد لم أعثر بتاتا على كلمة مقبرة لدى المؤرخين الإسبان بل بكلمة أو عبارة مكان خاص، ربما لكون المقبرة كانت لها صفة رسمية ومعترف بها من طرف الحكومة التي كانت ترفض ذلك.

عمل معظم الموريסקوس المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية على أخذ الثقافة القشتالية، فتعلموا القراءة والكتابة باللغة المذكورة، وصاروا يوقعون بالحروف اللاتينية، أما الفقهاء منهم فكانوا متمسكين بثقافتهم الإسلامية، يحفظون القرآن الكريم ويلقنونه إلى جانب اللغة العربية سرا إلى بعض تلامذتهم. كما كانوا يوقعون الوثائق الرسمية بالحروف العربية. أما سكان القرى

من الموريسكوس وهم الأغلبية بها عدا القس المشرف على الكنيسة ومساعدوه، فكانوا يجهلون اللغة القشتالية من حيث القراءة والكتابة والمحادثة.

وكما ذكر مؤرخون إسبان فإن معظم موريسكي ألمرية كانوا يجهلون اللغة القشتالية، فكانوا يسلمون وثائقهم لمرجم ليبيين لهم مضمونها، وكان هذا هو مصدر عيش هؤلاء المترجمين، فكانوا يضعون مكاتبهم رهن إشارة من يريد ترجمة وثائقه كما هو الحال الآن مع المترجم المحلف.

لكن في أواسط القرن السادس عشر، بدأ الطلب يقل على الترجمة نظرا لكثرة العارفين باللغة القشتالية وبين هذه المرحلة وتلك مرت فترة كان الموريسكوس فيها يضعون إمضاءهم بلغة تسمى الخمياذو⁽¹⁾، وحسب المؤلف كابريرا فإن هذه اللهجة كانت متداولة في القرى والبوادي.

ومما كتب المؤرخ نيكولاس كابرانا في هذا الصدد : انه من المؤسف أن نرى أن اللغة العربية المستعملة في الكلام هي التي بقيت سائدة أما المكتوبة فقد اندثرت شيئا فشيئا بسبب منعها رسميا خاصة مع مرور القرن السادس عشر (رغم وجود حتى حدود 1529) من الموريسكوس من كان يوقع بعض الوثائق العدلية بالحروف العربية، ومن هؤلاء : ديكو لوبيث البهاري، وغيره كثيرون. ويضيف نفس المؤلف : «كانت هناك مدارس قرآنية سرية يدرس فيها بعض الفقهاء الحروف العربية وتعاليم القرآن مما كان

1- الخمياذو : بالإسبانية محرفة العجمي : كان الموريسكوس يكتبون الإسبانية بالحروف العربية. «كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا».

يشكل دعامة لثقافة محظورة تعيش في المخابي، أحرقت كتبها على يد الكاردنال ثسنيروس، وقد انتشرت الأمية بين الموريسكوس خاصة في السنوات الخمسينية من القرن السادس عشر. ونظرا لهذا وجد المسؤولون أيام فليبي الثاني صعوبة في ترتيب وتصنيف الكتب العربية في مكتبة الاسكوريال نظرا لنذرة من كان يعرف اللغة العربية، وبالتالي يفهم مضمون الوثائق الآتية من الأقطار الإسلامية. وأصبحت اللغة العربية ينظر إليها كشيء غريب رغم أنها كانت السائدة من قبل في الأندلس.

ويحكى في هذا المجال أن فليبي الثاني بعث إلى المدعو ألونصو ديل كاسطيو وذلك عام 1582 ليقوم بترجمة الرسائل والكتب العربية وذلك بمرتب عال قدره مائتي دوكادوس سنويا. وقد أتى ألونصو هذا من لشبونة بالبرتغال التي كانت خاضعة للملك فليبي الثاني وهو خال ضون سباستيان ملك البرتغال الذي مات في معركة وادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير. واستمرت وحدة البرتغال وإسبانيا مدة ستين سنة. وكان ألونصو كاسطيو يدعى الترجمان الموريسكي الغرناطي.

إبان المرحلة التي نحن بصدها كانت هناك شخصية تمثل صلة الوصل بين الموريسكوس والنصارى القدماء وهي «الكوازيل» وهو رجل يتقلد منصب رئيس الأمن، وكانت هذه المهمة تورث أبا عن جد⁽¹⁾ بمرسوم ملكي للعائلات التي ساهمت في حرب الملوك

1- عند زيارتي لغرناطة أثناء وضع الحجر الأساسي لبناء مسجدتها في أبريل 1996 جرى بيني وبين عمدة المدينة حديث فقلت له أنني أعرف عمدة المدينة حينما زارها مولاي الحسن بن المهدي أيام الحماية، فقال لي ذاك أبي. فذكرني بمهمة الكوازيل، ولو أن مهمة العمدة ليست متوارثة.

الكاثوليك، ويقال أن هذه المهمة تقلدها بعض المسلمين الذين أبدوا ولاءهم للتاج الإسباني ومقابل ذلك كانت تمنح لهم بعض الامتيازات كأمالك الأحباس التي كان من المفروض أن تحول إلى ملكية الكنيسة، أما من لم يبد ولاءه فكان يحرم من التمتع بالأمالك المذكورة.

كان لكل مجموعة موريسكية رئيسها، وكان العمل الحاسم الذي يقوم به هو محاولة الدفاع عن حقوقهم أمام المجلس الأعلى الذي يوجد به ممثل للموريسكوس أي النصارى الجدد. وكان وكيل الموريسكوس يقوم برفع شكاويهم إلى المجلس حتى يتوقف هضم حقوقهم، وقد ساهم هذا في تمتين العلاقة بين الموريسكوس، الذين كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض كأ أسرة واحدة حتى من وجد منهم في شمال إفريقيا أو تركيا⁽¹⁾ حيث كانت علاقة هؤلاء بموريسكيي إسبانيا سرية.

II- وضعية أراضي الموريسكوس الفلاحية

كان الموريسكوس هم الخبراء بميدان الفلاحة، وكانت الدولة تعتمد عليهم في هذا المجال، لكن النصارى القدماء وبعد قدومهم من جميع أنحاء إسبانيا صاروا يسيطون على الأراضي الفلاحية التي كانت في ملك الموريسكوس وصارت الدولة توزع المزارع على النصارى القدماء رغم أنهم لا دراية لهم بفن الزراعة، فنشأت من

1- لقد هاجر كثير من الموريسكوس إلى تركيا التي كانت أعظم دولة في ذلك الوقت فكان الموريسكوس يرجون الخير منها حتى انهزمت في المعركة البحرية قرب جزر البليار المعروفة بمعركة لبانظو، فانهار الأمل أنظر (كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا).

جراء هذا حرب باردة بينهم وبين الموريסקوس لا يهدأ أوارها وخاصة بسبب الأراضي السقوية لأنها مورد عيش الجميع لأن الصناعة في ذلك الوقت لم تكن تدر ربحا كبيرا كما هو الشأن في زمننا هذا، وكان هذا من الأسباب التي كانت تدفع بعض الموريסקوس إلى ترصد الفرصة الملائمة للقيام بالثورة الشيء الذي كان يأخذه النصارى للانتقام منهم، وطردهم من أراضيهم، فأضحى النصارى القدماء هم الملاكين الكبار للأراضي الفلاحية ومزارع الزيتون، كما أصبحت الكنيسة من أكبر المستفيدين من ذلك الوضع. ولم ينج من هذا حتى أملاك أحباس المساجد، كما استفاد أيضا العسكريون وخاصة منهم جنود المدفعية الذين كانت لهم ميزة خاصة لأن المدفع كان له قيمة خاصة في ذلك الوقت. كما أن بعض الأراضي بقيت في ملك بعض الموريסקوس الذين كانوا حلفاء ومخلصين للتاج الملكي.

وبرزت ظاهرة أخرى هي أن بعض النصارى كانوا يشترون الأراضي من الموريסקوس بأبخس الأثمان (بإجبارهم على ذلك) ثم يبيعونها بأثمان باهضة، أو يقومون بكرائها للموريסקوس (ويسمى هذا بالمغرب بالكزا)، فأصبح الموريסקوس من جراء هذا فقراء معوزين لا مجال لهم للاحتجاج لأن النصارى كانوا يهددونهم باللجوء إلى محاكم التفتيش التي كانت بمثابة سيف متسلط فوق رؤوسهم.

III- قضية استغلال الماء عند الموريسكوس

في عام 1537 أراد المسؤولون بالمرية أن يضعوا حدا للفوضى التي كانت تحيط بقضية توزيع الماء الخاص بالسقي، فحاولت الكنيسة أن تحسم الأمر وتتدخل لتحصل على حقوقها القديمة. فكونت ملفا واستدعت لهذا الغرض ثلاثة موريسكيين حسب تقدمهم في السن لكونهم على اضطلاع بطريقة توزيع المياه ويتعلق الأمر بكل من : ألونصو دي فلفيس، شرطي سامي بالمرية وعمره 63 سنة، مارتين لاثو فلاح عمره 73 سنة، لويس أروويس حداد عمره 80 سنة (وهؤلاء كانوا من النصارى الجدد) وكانت المعلومات التي أدلى بها هؤلاء الأشخاص في غاية الأهمية نظرا لكونهم كانوا يعرفون مدينة المرية حق المعرفة سواء في عهدها الإسلامي أو إبان الاحتلال النصراني. كما أنهم كانوا على دراية تامة بمشكل توزيع المياه، لأن مدينة المرية لم تعرف مشكل توزيع المياه أيام المسلمين لكونهم عرفوا كيف يستغلونه رغم وجود المدينة في منطقة شاسعة وجافة.

لم تكن بالمرية عيون ولا نهر، وكان مصدر الماء هو الآبار حيث يستخرج منها بواسطة النواعر (السواني بالغرب) وكميته كانت ضئيلة كما أن العملية كانت تتطلب مجهودا كبيرا. وقد تمكن موريسكي وكان يدعى «أخرين» من اكتشاف منبع هائل تحت الأرض، ضم إلى منبع آخر اكتشفه موريسكي آخر كان يدعى «جصف». وقد قاموا بتحسيس هذا الماء على الجامع الكبير بالمرية وأصبح مسيرا من طرف القاضي والفقيه، وهما اللذان يعينان حكام الماء، فتبدلت أحوال المدينة وقاموا بتسخير الماء

بكيفية هندسية. فوضعوا السواقي والمجاري بكيفية فنية عجيبة حتى صار الماء يصل إلى السواقي العامة وإلى المساجد قصد الوضوء للمصلين.

كان الماء يقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم يسخر للسكن الحضاري، وقسمين لسقي الأراضي الفلاحية. أما أيام الجفاف فكان الماء كله يذهب إلى صهاريج ألمرية. وإذا فضلت منه كمية فتباع في المزاد العلني بعد صلاة الجمعة بحضور قاضي المدينة ورئيس شرطتها، ومدخول بيعه يسخر لبناء الحصون وتنظيف السواقي. بعد احتلال ألمرية من طرف الملوك الكاثوليك أصبحت الكنيسة هي المتحكمة في مصلحة تسيير المياه لكونها (أي الكنيسة) هي وارثة المسجد الأعظم. غير أنه في سنة 1508 أصبح تسيير المياه في يد البلدية حيث أن الرئيس الديني رأى أنه من غير اللائق أن تستولي الكنيسة على أشياء تخص الأمور الدنيوية لأن ذلك حسب رأيه يحط من قيمة الهدف الروحي للكنيسة.

IV- نظرة عن المعاملات في ميدان الفلاحة

كان الموريسكوس يتعاملون أحياناً في ما بينهم بالشراسة، فإذا أخذنا ميدان الماشية مثلاً، كان الموريسكي المالك للماشية يقوم بتسليمها لموريكسي آخر ليرعاها ويحرسها وبالتالي ليستفيد من منتوجها على أن يدفع للمالك بعد انقضاء المدة المتفق عليها نصف قيمة القطيع.

ومن الوثائق المحفوظة بالسجلات الإسبانية والتي يرجع عهدها إلى القرن السادس عشر، هناك ما يبين وجه المعاملات التي

كانت سائدة بين المورييسكوس والنصارى، وهذه الوثائق محررة من طرف عدول، وبها عدة تفاصيل تدل على تاريخ البدء بالعمل بها وصيغة التعامل في ما يخص الأراضي الفلاحية مثلا. كما تحتوي على أسماء ومهن الأشخاص المتعاملين بموجبها. وتوجد بها كذلك تفاصيل مدققة عن مساحة الأرض ونوع الزراعة الموجودة بها وحدودها بل وحتى أصل الأرض في الماضي.

كان أداء الأجور يتم نقدا أو بواسطة منتوج الأرض من زراعة أو طيور أو تبن أو خشب إلى غير ذلك.

كانت نسبة إيجار الأرض مبالغ فيها بالنسبة للمورييسكوس إذا استأجروها من نصراني قديم، وهذا بطبيعة الحال إجحاف في حقهم (أي المورييسكوس). وكان دفع الإيجار بالمنتوج يتم في ليلة عيد ميلاد المسيح. وسبب هذا على ما يبدو هو أن يتسنى للنصراني القديم التمتع بمواد المنتوج الفلاحي في مناسبة عيد الميلاد، كما كان يتعين على المستأجر أن يوصل المنتوج إلى بيت صاحب الضيعة، وكان هذا يكلف المورييسكوس صعوبات ومشقات جمّة خاصة إذا كان مالك الأرض يسكن بعيدا لانعدام وسائل النقل ووعورة الطريق.

كان المورييسكوس في أغليبيتهم أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، فكان غالبا ما يحضر ترجمان أثناء تحرير عقود الإيجار، ولكن رغم هذا ورغم بنود العقود تبقى حرية التصرف دائما لصالح النصراني القديم، فإذا أراد بيع الأرض يصبح عقد الإيجار لاغيا حتى ولو نص عقد الإيجار على عكس ذلك، فيضيع بذلك حق المورييسكي ويصبح بالتالي تحت رحمة وسيطرة النصراني القديم.

V - نظرة عن الحالة الاقتصادية

عرفت الحركة الاقتصادية عموما انهيارا بسبب الصدمة التي منيت بها ميادين الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة نتيجة الهيمنة المطلقة للنصارى القدامى عليها. فلقد عملوا على قطع العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين الموريسكوس وشمال إفريقيا، هذه العلاقات التي لم تكن تشمل تبادل المنتجات فقط بل توطدت أيضا بين الأشخاص المنتجين، وقد ساهمت القرابة العائلية في كثير من الأحيان في ذلك، فانتهى كل هذا باستيلاء القشتاليين على أرض الأندلس بصفة عامة وسقوط غرناطة بصفة خاصة.

كان الموريسكوس قبل اندلاع الحرب خبراء في الزراعة ولم يتركوا شبرا واحدا من الأرض في جبال البوشرات إلا وزرعوه مما كان له الوقع الحسن على الاقتصاد بصفة عامة، لكن بعد الحرب ذهب كل شيء أدراج الرياح، واتجهت أنظار القشتاليين إلى العالم الجديد أي أمريكا، فنظروا لهذا حاول النصارى القدماء إبقاء الموريسكوس المطرودين للاستفادة من خدماتهم في مجال الزراعة وتوزيع الماء وطحن الزيتون إلى غير ذلك.

VI - طرد الموريسكوس

صدر قانون الطرد بالمرية عام 1570، ومن أهم أماكن تجميع الموريسكوس قبل طردهم مدينة «بيراء» قرب نهر المنصورة، وكذلك في الناحية الشرقية لجبال البوشرات بضواحي غرناطة.

بعد صدر عن ابن فليبي الثاني خوان دي أوسطريا⁽¹⁾ مرسوم
يطلب بموجبه من الموريסקوس أن يلتحقوا بالمرابك البحرية
نصد ترحيلهم. ومن خالف الأمر منهم يصبح من صنف الرقيق
ساع ويشترى وقد حدث هذا فعلا. لكن عملية الطرد هاته
تخللتها بعض الاستثناءات حيث أعفي بعض الأشخاص إما
تعاونهم بإخلاص مع رجال السلطة، أو لما كانوا يتمتعون به من
حظوة عند النصارى القدماء. ونذكر على سبيل المثال المدعو
فرانيسكو بنييكاس» الذي كان من عائلة موريסקية نبيلة. وقد
من نائبا في المجلس البلدي بالمرية. ومن بين الخدمات التي قدمها
هذا الشخص للنصارى نذكر هذه الواقعة : فقد بعث بعض
موريסקوس الذين قاموا بالثورة برسالة إلى هذا الشخص، فقام
هذا الأخير بتسليمها مغلوقة إلى نواب المدينة في اجتماع لهم
وذلك عربونا منه على ولاءه للعرش، وعندما قرئت الرسالة كان
مضمونها أن الثوار يعرضون عليه أن يكون ملكا عليه. إن هو
ضم إليهم، وقد ساهم بعض الموريסקوس من صنف بنييكاس مع
نصارى في معاركهم ضد الموريסקوس.

وقد كتب بعض المؤرخين الإسبان في هذا الشأن قائلين بأن
هذا الصنف من الموريסקوس كلنوا قد أصبحوا مقشطين. الشيء الذي
يؤثر حتما إلى استثناءهم من الطرد، كما أن كثيرا منهم أصبح يتمتع
بعاش دائم من لدن الكنيسة كما أن أملاكهم سلمت من المصادرة.

- هو الذي انتصر على الأتراك بمعركة لبانطو قرب جزر البليار وفيها أسر الكاتب
باني العروف سيرفانطيس صاحب الكتاب الشهير «دون كيخوتي دي لمانشا».

بعد صدور قانون الطرد. قامت الحكومة بتسطين بعض الشروط لمن أراد البقاء في الأندلس :

1- يجب أن يكون الشخص الموريסקي الراغب في ذلك لم يشارك في أي نشاط معاد للحكومة أثناء ثورة المورييسكوس بقيادة ابن أمية⁽¹⁾، وأن يقدم الدليل على ذلك.

2- أن يبرهن على حسن نصرانيته بجميع مظاهرها.

3 أن يتردد بانتظام على الكنيسة والمراكز الدينية.

4- أن يساهم في التظاهرات الدينية ومهرجاناتها وطقوسها مع طوائفها.

5- دفن أفراد العائلة بأماكن دفن النصارى القدماء.

6- يتعين عليه الأخذ بالعوائد الخاصة بالقشتاليين في اللباس والأكل واللغة والتعامل مع النصارى القدماء بربط علاقات بهم.

7 أن يبرهنوا على أنهم ساهموا مع النصارى القدماء عمياً في قمع ثورة المورييسكوس المسمين بأنفسهم وبأمو لهم. إذا، هذا كانت هي الشروط التي يمكن بموجبها استثناء شخص ما من الطرد.

لقد وجد لمورييسكوس صعوبات حمة في جمع هذه الدلائل. كما أن عمية الطرد كانت تشوبها خروقات عديدة، فحتى بعض العائلات النبيلة شملها لطرده لجرد وجود شبهة فقط بعدم توفرها على الشروط السالفة الذكر.

1 انظر كتاب محنة المورييسكوس بإسباني لمؤلف

كانت أكبر عملية طرد هي تلك التي حدثت سنتي 1609 و1611 أيام فليبي الثاني¹، حيث كانت جحافل المهاجرين تتدفق على الشواطئ الغربية و«وأن عددا قليلا منهم تأخر إلى أواخر القرن السابع عشر والتي كانت ترد على المغرب بصفة تجارية. ورغم طرد الموريسكوس بقي لنصارى يتتبعون خطواتهم بواسطة المبشرين الذين أقدمو مركز لهذه لغاية خاصة بتطوان باتفاق مع حكومة المغرب. فهم كانوا يتتبعون المهاجر بصفته نصرانيا. ولكنه عندما يصح إلى المغرب يتعامل مع المغاربة كمسلمه. وقد ذكر هذا في بحث تحت عنوان «شخصيات موريسكية تطون في القرن السابع عشر، نشر في مجلة مركز لدراسات تاريخية بغرناطة ومملكتها، رقم 5 لطبعة الثانية، سنة 1991. وقد ورد في هذا البحث شخصيات مرموقة هاجرت سر إلى شمال مغرب في لقرن لسبع عشر وستقرت ببعض مدنه كـتـطون. لـشـاـون. القصر الكبير، وذكرت أسم = بعض هذه شخصيات. فمنها من اندثرت ومنها من بقيت كـعـتـأرغون بـأـصـيو. وهذه لأخيرة وردت على تطوان في سنة 1656 حسب مجلة المذكورة.

تد هجر الموريسكوس إلى عدد من دول شمال إفريقيا، تركيا و، ض البلقان، لكن لنصيب الأكبر كان لمغرب، فستتبع - و - دورهم في بلاد التي هاجرو إليها، كـنـنـا سـنـبـل نو فـيـت من لله من المغرب.

1 - مجلة الموريسكوس، السيرة للمؤلف.

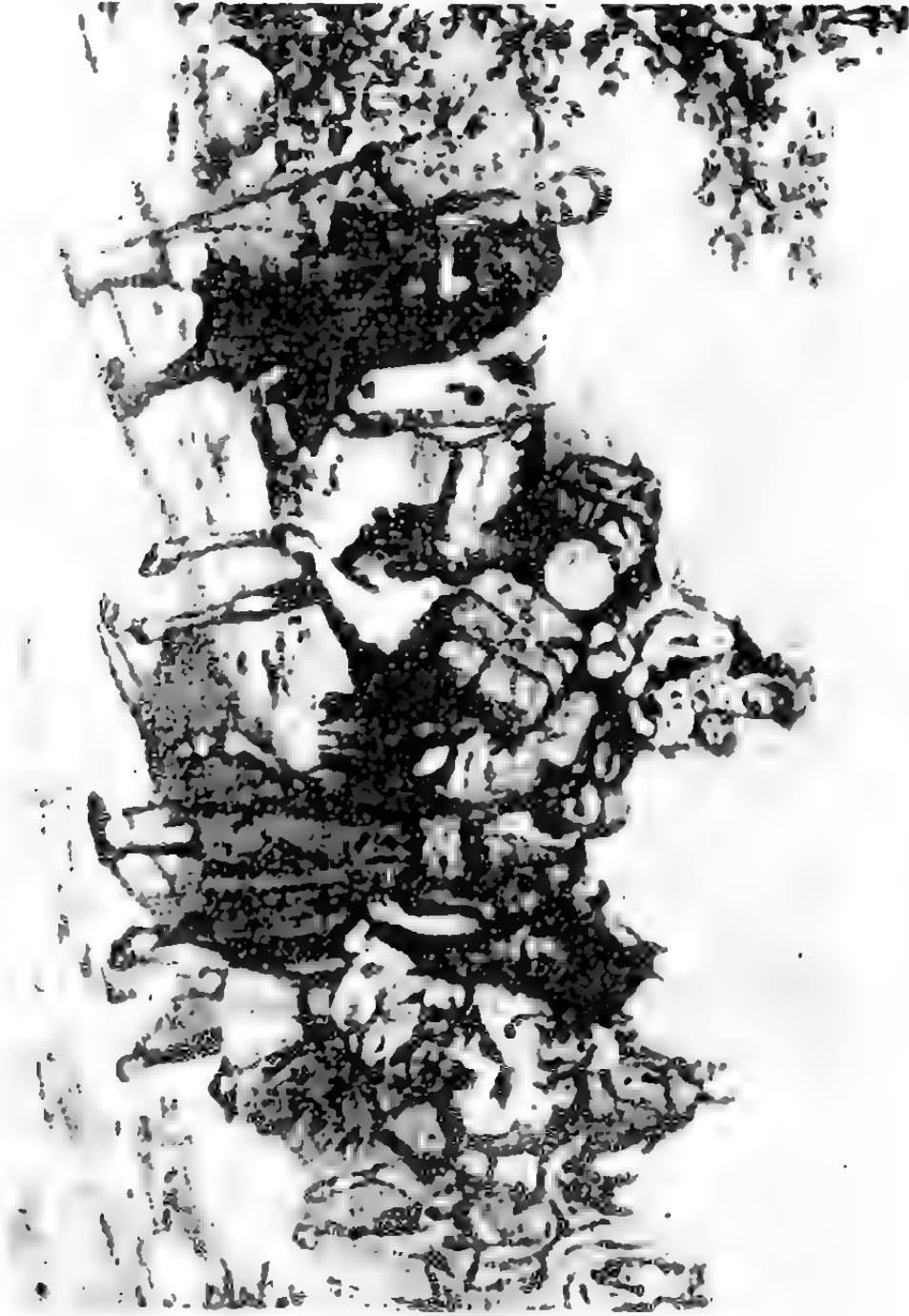
الموريسكوس في المغرب

I- مقدمة

إن مغادرة الموريسكوس لإسبانيا جعلتهم يفقدون هذا اللقب الذي ألصقه الإسبان بهم. فلم يكن في الحقيقة يرقهم، وإنما تقبلوه على مضض، لأنه يحط من قيمتهم ويميزهم عن غيرهم في المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه. كما أن هذا اللقب كان يعد وشمة عار على جبين حامله شأن ذلك شأن بعض الدول التي تقسم سكانها إلى طبقات في عصرنا هـ .

لم يعامل الموريسكوس عند قدومهم إلى المغرب معاملة واحدة من طرف المغاربة، بل اختلفت هذه المعاملة بحسب الأرمنة والظروف التي قدموا فيها إلى المغرب. فالأوائل منهم الذين توا إبان سقوط غرناطة أو مملكة من الممالك الأخرى، كنو يعاملون معاملة حسنة، لأن 'المغاربة' كنو يمسون فيهم صفات البيئة الإسلامية المحضة. لكن بعد مرور السنين، وتثناء عملية لُصرد الكرى على يد فيبي الثالث 1610-1614 تغيرت نظرة المغاربة إني الموريسكوس، حيث بدء ينظرون إليهم كشبه نصارى لأن أحوال لقادمين من إسبانيا كانت قد تبدلت سوء من حيث اللغة التي أصبحت مزيج من لعربية والإسبانية، و'الهنداء' الذي أضحي يشبه هندام النصارى، وكذلك من حيث عاداتهم كاختلاط لرجال بالنساء أثناء الحفلات مثلاً، ونظراً لهذه الأسباب أصبح المغاربة يشكون في إسلام الموريسكوس، فصار التاريخ بذلك يعيد نفسه

لقب
إنما
هم
يعد
لتي
ملة
منة
أتوا
لون
ينة
نرد
ربة
لأن
نفة
حي
عال
ربة
سه



صورة لرسام أجنبي للأندلسيين المهاجرين إلى المغرب

فكما كان النصارى يشكون في تنصر الموريסקوس أصبح الغاربة يشكون في إسلامهم.

II- الطرق التي نهجها الموريסקوس في هجرتهم

كان الموريסקوس على العموم يستعملون أقرب الطرق للوصول إلى بلاد إسلامية قريبة من ناحيتهم بإسبانيا. فمن كان يذهب إلى المغرب كان غالبا ما يعبر من الوائى الجنوبية كميناء الجزيرة الخضراء مثلا، أما من كانوا يتجهون إلى الجزائر فكانوا يعبرون من ميناء بلنسية، وينزلون بميناء الرس لكبير القريب من مدينة وهران، ومنها إلى فاس بالمغرب. كنت أغلب الأفواج الموريסקية تكتري سفنا ذات صبغة تجارية. وهناك أفواج أخرى كانت تهاجر على يد السلطات لإسبانية على متن سفن حربية، فكانت تلاقي معاملة سيئة من طرف ربابتها.

كان لموريסקوس الذين يصلون إلى مدينة وهران يلاقون صعوبات كبيرة عند وصولهم إليها حيث كانت هذه المدينة محتلة من طرف الإسبان الذين كانوا يبادرون لإغلاقها في وجه لموريסקوس فور وصولهم إليها، فيضطرون للاتجاه إلى خارج المدينة تائهين في البوادي حيث يستقبلهم الناس بجفاء ويعاملونهم معاملة سيئة لأنهم كانوا يحسبونهم نصارى. فكان لموريסקوس يلقون منهم ما لا يطاق وقد كتب بعض المؤرخين بأن سلطان المغرب آنذاك أرسل جيشا لحماية الموريסקوس، إلا أن مؤرخين آخرين شككوا في ذلك حيث يقول مكيل ذي اسبالدا

من الغريب أن تكون هذه الرواية صحيحة، لأن المغرب في ذلك الوقت كان فيه أميران يتصارعان على السلطة، ويتعلق الأمر بمولاي الحاج الشيخ ومولاي زيدان⁽¹⁾ كما أن الأرض التي نزل بها الموريسكوس كانت تابعة لإدارة الجزائر العاصمة، كما أنه من الجائز أن يكون الموريسكوس قد بقوا بهذه المدينة بجانب إخوانهم الذين كانوا قد سبقوهم منذ مدة طويلة، وقد تركوا بصمات عديدة بتلك الناحية .

ومن أسماء بعض القرى التي قطنها الموريسكوس قرية فالكون دي لوس أندلوسيس⁽²⁾ والتي أعرفها شخصيا حيث كنت أقوم بزيارتها عندما كنت قنصلا سيدي بلعبس بالجزائر .

كان الموريسكوس القادمون إلى المغرب انطلاقا من ميناء الجزيرة الخضراء ينزلون بسبته، وكانت هذه المدينة بيد الإسبان بعد أن أخذوها من البرتغاليين إثر توحيد إسبانيا والبرتغال بعد معركة وادي المخازن. وكان الموريسكوس و لحالة هذه يتظاهرون بأنهم إسبان حتى لا يمسو بأذى، وحتى تتوفر لهم الفرصة لولوج المغرب ومن بين هؤلاء المدعو اخياري لذي هاجر إلى المغرب عام 1598، وهو من الشخصيات البارزة في الأدب الموريسكي. كما لعب دورا مهما في المجال السياسي المغربي، وستتطرق لهذه الشخصية في فقرة قادمة.

كان الموريسكوس يضطرون للهجرة إلى بلد نصراني نظرا

1 كان مولاي زيدان يهتم بالكتب العلمية ففي أيامه 'سولي' لإسبان على مركب محمل بالكتب كانت في طريقه إليه وكانت هذه الكتب في ما بعد نواة مكتبة لاسكوريال. وبقيت مكدسة إلى أن كلفت الحكومة الإسبانية رها مارونيا لبناني بترتيبها وفهرستها في القرن الثامن عشر

مصعوبات التي كانت توضع في طريقهم إذا ما حاولوا الهجرة إلى المغرب كانتزاع أبناءهم منهم مثلاً، فكانوا يتوجهون إلى فرنسا ومنها إلى المغرب أو إلى بلد إسلامي آخر بشمال إفريقيا. كانوا يتنكرون أحياناً في صفة تجار، ففي سنة 1598 توجه ندرج منهم إلى مرسيليا ومنها إلى المغرب، وهذا باتفاق مع بعض بحارة، وكانت موانئ المغرب مفتوحة لهم كتطوان والحسيمة وعرائش. وهناك بعض الأندلسيين هاجروا من المغرب إلى تونس كونهم كانوا تجاراً أو بحارة كالريس موسور في سنة 1623 ورئيس لسلاوي في 1636، وعائلة عاشور التي استقرت بتونس وغيره.

من الهجرة الأندلسية إلى المغرب بدأت قبل نهاية الحكم الإسلامي وذلك بسبب لتقبات لسياسة بالأندلس. فكان المغرب هو الدولة المستقرة ومنجاً لموريسكوس كما حلت بهم محنة من المحن. فمثلاً إبان ثورة قرصبة عام 817 هاجر عدد كبير من الأندلسيين واستقروا بفاس التي كانت عاصمة المغرب آنذاك، فأقاموا بها وكونوا مجتمعاً مرموقاً، فازدهرت بهم المدينة في كل جوانب الحياة. ثم بعد هذا جاءت هجرات متعددة بعدما تقوى جانب النصراني بالأندلس بسقوط غرناطة. وبحدوت ثورة وثورة لبوشرت هاجرت ححافل من موريسكوس إلى المغرب حيث كانوا يتجمعون بمدينة لقصر الكبير ثم يوزعون على باقي نواحي المغرب، كما أن مدينة تطوان وبلاد الجزائر كانتا مكان لتسيق في قضية ثورة البوشرات والتي بسببها هاجر عدد من الأندلسيين ليدخلهم أحمد المنصور في جيشه.

III- كم كان عدد الموريسكوس الذين هاجروا إلى المغرب

من الصعب جدا تحديد عدد الموريسكوس الذين هاجروا من إسبانيا إلى المغرب، وذلك نظرا لكونهم طردوا في فترات متعددة، وكذلك هناك من أحصي من طرف السلطات الإسبانية عند الطرد لكنه لم يصل إلى المغرب بعد تجريده من أمتعته وإلقائه في البحر من طرف أصحاب المراكب. كما أن هجرات الموريسكوس كانت في بعض الأحيان اختيارية، ولكن رغم كل ما سلف ذكره، واستنادا إلى مصادر ووثائق إسبانية يمكن القول بأن أهم الهجرات من حيث العدد هي تلك التي وقعت بعد سقوط غرناطة ثم تليها عملية الطرد التي أعقبت أمر الملك فليبي الثالث بالطرد بين سنتي 1609 و1614. ويقدر عدد من هاجر في هذه الفترة بحوالي أربعين ألف شخصاً منها عشرة آلاف حلت بتطوان عام 1613 وذلك حسب تقرير «الدوكي دي ميدينا سيدونيا».

IV- استقرار الموريسكوس بالمغرب

لقد كان المغرب ضعيفا من الجانب العسكري إبان سقوط غرناطة بين أيدي النصارى. لذا لم يكن بإمكانه مساعدة إخوانه الأندلسيين ونجدهم عسكريا. فقد كانت أرض المغرب مسرحا للهجومات الإسبانية والبرتغالية من البحر. وأصبحت للبرتغال قاعدة بالتراب المغربي على مدينة سبتة عام 1415. فلجأ المغرب إلى التضامن مع بعض الأمم الإسلامية ليتمكن من صد هجومات الإسبان والبرتغاليين. فتضامن مع حكومة اسطنبول وصار يسهل للموريسكوس اللجوء إلى المغرب. ويمدهم بالمساعدة لكي يستقروا

بوطنهم الجديد.

كانت للموريسكوس إبان استقرارهم بالمغرب فكرة أن بلاد الإسلام واحدة، فأصبحوا يعدون أنفسهم أصحاب الأرض الشرعيين، وصاروا يتدخلون في شؤون الغرب بجميع أنواعها من اقتصاد وزراعة إلى غير ذلك. وأصبحوا يتصرفون في السياسة الداخلية للبلاد. ويقول المؤرخ «إسبالثا» في كتابه «الموريسكوس في سياسة المغرب الداخلية»: «أن الموريسكوس اندمجوا في السياسة الداخلية للمغرب وفي السلطة المركزية على الخصوص، وكذلك في الجو السياسي للمدن، وكونوا قوة خاصة في الجيش المغربي بجانب عناصر أخرى من أصل أجنبي من سود وغيرهم، وكان هذا الجيش شبيه بما كان الاستعمار الأوروبي بإفريقيا يسميه «الليف الأجنبي». ويقول المؤرخ كييرمو كونثاليث، في كتابه «المنظري الفرناطي مؤسس تطوان» أن نشاط المنظري من الناحية لحرية بشمال المغرب يأتي قبل كل شيء من ضمت السلطة المركزية التي فوضت له أمر الدفاع عن الشواطئ المغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط لمواجهة لإسبانيا. فكون المنظري جيشا كان مركزه قبائل الأخماس محصنا بجبالها ويكونه أهل هذه القبائل إضافة إلى بعض الأسرى الذين كانوا يقعون في قبضته أثناء حملاته الجهادية ضد الإسبان والبرتغاليين.

لقد أعطى المغرب التفويض التام للموريسكوس في كل ما يقومون به من أجل الدفاع عن الوطن ضد الاعتداءات النصرانية وخاصة بسهل تطوان وسلا والمعمورة. لقد كان الخطر محدقا بالمغرب من طرف دولتين شابتين في القوة والتقدم البحري. فعزز

المغرب علاقته مع الخلافة العثمانية، ولو أن هذه الأخيرة كان لها هدف الإستيلاء على ما تبقى من دول إسلامية بشمال إفريقيا. وقد قام السلطان أحمد المنصور بتعزيز جيشه بالموريسكوس، واستمد نظام جيشه من اسانبول على الطريقة التركية، وذلك بعد إقامته بها مدة من الزمن⁽¹⁾

أسند المغرب إذا مهمة الدفاع عن الشواطئ إلى الموريسكوس، فبدأ تأثيرهم على السياسة الداخلية ينمو ويكبر، واستحوذوا على مراكز مهمة في الجيش وكونوا كما أسلفنا فرقة خاصة بهم إلى جانب خليط من أوربيين دخلوا للإسلاء وآخرون خرجوا عن ضاعة بلدهم وفروا إلى المغرب، وكذلك عبيد من جنس لأسود، ومما يذكر بعض المؤرخين الإسبان أن السلاطين المغاربة في أواخر القرن السادس عشر كانوا غير قادرين على أداء أجور هذه العناصر المكونة للجيش لشيء الذي كان يشغل بال لسلطات. ولكن سرعان ما فكت لأزمة بفضل ما حصلت عليه لحكومة من ذهب مقابل إطلاق سراح لأسرى لبرتغاليين الذين أسروا في معركة وادي المخازن سنة 1578، وكذلك نتيجة مرور القوفل بعد طرد البرتغاليين من لشواضى لغربية للمغرب، وكذا تصدير السكر إلى أوروبا وجنوب الصحراء.

هناك نقطتان مهمتان وجبت الإشارة إليهما :

1- أصبح الموريسكوس درعا وقيا ضد هجمات الإسبان

1 يقال أن السلطان أحمد المنصور تولى بعض لعود من ستابول كسوسه شمو - لدى يقم بسلا في لولا البوي، وبعض لعد - في ليس كالقميص لدخي الذي يسمى في بعض مدن المغرب بالمصورة كما هو لسن عن أهلي مديه لقصر الكبير

برتغاليين، وخاصة خلال القرن السادس عشر حيث كانت أكبر
هجرة للموريسكوس بين 1609 و1614 أيام فليبي الثالث ملك
إسبانيا آنذاك.

2- بعد الترحيب بالموريسكوس والسماح لهم بالإقامة
ومزاولة جميع نشاطاتهم الاجتماعية والعسكرية، كان على
المغاربة أن يكونوا حذرين في ما يخص النشاط السياسي
العسكري للموريسكوس، فصحح أن وجودهم أعطى للبلاد
دهارا وحركة دائبة في كل مرافق الحياة، لكن عممه فيما
بينهم كان يدعو لليقظة لأنهم كانوا طبقات اجتماعية متباينة
وكثير منهم ترك في بيده "أصبي ثروة وجاه، فكان عليهم
في حالة هذه استردادها في مقر إقامتهم الجديد فأخذوا يقومون
في بعض الأحيان بنشاطات تكاد تكون مناهضة للسلطات المحلية
- الأماكن التي ستقروا بها في المغرب باتخاذهم لنفسهم حكما
تيا بالمفهوم السياسي الحالي، فحاولوا الاستقلال بأنفسهم في
الاقتصاد والسياسة في بعض مدن المغرب كتطوان والرباط وسلا.
بدأ مظهر التنافس يتجلى بين الموريسكوس أنفسهم، حيث
كان المغرب يضم عددا كبيرا ممن هاجروا أثناء سقوط غرناطة
عام 1492، وعدد آخر ممن حلوا بها بعد فترة طويلة من سقوط
غرناطة وذلك عام 1609 أي بعد قرن ونصف، فبين الفئتين اختلاف
كبير في العقلية والثقافة والعادات، فالأوئل ثم المنحدرين منهم
كانوا متشبثين بالروح الإسلامية والثقافة العربية، بينما الفئة
الأخيرة كانت قد تشبعت بالثقافة الإسبانية، وبعدت بذلك بعض
شيء عن الروح الإسلامية لصحيحة بل حتى الكثير منهم فقد

اللغة العربية حيث أصبحت لغتهم مشوهة باللغة الإسبانية التي طغت عليهم بفعل القهر الذي كان يمارس عليهم في بلدهم الأصلي.

كما كان مظهر التنافس متجليا أيضا بين البورجوازية الغربية القديمة والأندلسية القديمة التي استقرت بالمغرب قبل ضياع الأندلس وخاصة بمدن تطوان، فاس، سلا ومراكش.

٧- اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي

يقول المؤرخ ميكيل دي اسبالتا : « من بين العوامل التي كانت تحول دون اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي هو التداخل بين العنصرين البدوي والمدني حيث أن المدن كانت تحيط به أراضي فلاحية يسكنها المزارعون الذين يعيشون على النمط البدوي مما أثر على سكان المدن فحال دون اندماج الموريسكوس ». وكتعليق على ما كتبه هذا المؤرخ نقول أن جحافل من فلاحين مرسية طردوا منها بعد ثورة جبال البوشرات سنة 1585، وكات كلها من المزارعين من الناحية الشرقية للأندلس، وعند قدومهم إلى المغرب لم يكونوا يعرفون عن حياة الحضر شيئا، وخلقوا أزمة للمزارعين المغاربة بسبب مضايقتهم لهم في فلاحتهم فربما نسي ميكيل دي اسبالتا هذا أو كتب ما كتبه بدوافع عنصرية. وقد قال بعض المؤرخين الإسبان أن الموريسكوس اندمجوا أولا كعنصر أجنبي في مجتمع خاص بهم كاليهود أو النصارى الذين أسلموا أو أجانب غير مستقرين. كان اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي مختلفا حسب

الفترات التي قدموا فيها إلى المغرب، ذلك أن هجرتهم تمت في ظروف مختلفة وتباين في كل شيء. فالأندلسيين الذين هاجروا أثناء ثورة قرطبة مثلاً في القرن التاسع مختلفون عن الذين هاجروا إبان سقوط غرناطة، وعن الذين هاجروا أيام فيليبي الثاني بعد حرب البوشرات عام 1568، وبخلاف أيضاً من هاجروا أثناء فترة لُزرد الكبير أيام فيليبي الثالث عام 1609، كما أن فئة أخرى هاجرت في أواخر القرن السادس عشر، بل هناك من هاجر حتى نهاية القرن السابع عشر، فلهذا رأينا أن نبين حالة كل مجموعة من هذه المجموعات معتمدين في ذلك على مراجع إسبانية حديثة التأليف، لأن لكل مجموعة خاصياتها من حيث التكوين الديني والاجتماعي. فالذين هاجروا أيام ثورة قرطبة كانوا مسلمين، ولم يهاجروا لأنهم ضويقوا في دينهم، بل كان ذلك لأسباب سياسية واجتماعية، وحلوا خصوصاً بمدينة فاس وكونوا بها نواة نهضة ثقافية واجتماعية أما مهاجرو غرناطة بعد سقوطها فكانوا أندلسيين بطابعهم الخاص وعوائدهم الخاصة وحياة اجتماعية خاصة سواء من الناحية الدينية أو العلمية أو الثقافية إلى غير ذلك. أما مهاجروا حرب البوشرات عام 1568 فقد كانت بنيتهم الاجتماعية ممزوجة ببنية إسبانية صرانية نظراً لتقادم العهد على ذهاب دولتهم الإسلامية، فقد كان قد مر ثمانون سنة تقريباً على سقوط غرناطة، أضحوا خلالها عرضة للمضايقة والتشرد مرغمين على التخفق بأخلاق النصارى ولو ظاهرياً

أما مهاجروا القرن السابع عشر، فكان لهم وضع خاص

وحالتهم أقرب إلى النصارى، تكاد لا تختلف عنها في شيء.
نظرا لكل هذا كان استقبال المغاربة لكل فئة من
الموريسكوس يختلف حسب الفترة التي قدموا فيها، وكذلك حسب
وضعية المغرب الاجتماعية والثقافية المرتبطة أساسا بالوضعية
السياسية.

رغم كل الصعوبات التي واجهت الموريسكوس استطاعوا أن
ينصهروا في المجتمع المغربي، وساهموا في شتى الميادين حيث
صارت الأسواق مليئة بمنتجاتهم الصناعية والفنية وطبقوا كذلك
طرقهم الخاصة في ميدان التجارة، وازدهرت الأماكن التي نزلوا
بها، وانتعشت المبادلات التجارية مع الخارج عن طريق البحر والذي
كانوا خبراء بشؤونه.

وقد ساعدتهم في هذا إتقانهم للغات الأجنبية وخاصة
الإسبانية والبرتغالية سيما وأن علاقتهم بالإسبانيين والبرتغاليين
كانت لا تزال حديثة العهد.

VI- أفوقاي

من بين الموريسكوس الذين هاجروا إلى المغرب شخصية فذة
عرفت باسم أفوقاي، ونظرا لأهميتها، ارتأينا أن نخصص لها
فقرة خاصة.

ولد أفوقاي بقرية تسمى الحجر الأحمر سنة 1569 أو 1570
وذلك حسب المصادر الإسبانية، واسمه الكامل: أبو العباس أحمد
ابن قاسم ابن أحمد ابن الشيخ الحجري الأندلسي، يلقبه المغاربة

بالشهاب، والإسبان بالبيخيرانو Bejerano. ويقال أنه اتخذ هذا اللقب حتى لا يبقى باللقب الموريסקي الذي كان يعرضه للخطر بسبب تحريات الجواسيس النصاري. وهذا اللقب هو نسبة لقرية بيخار⁽¹⁾.

تلقي أفوقاي تعاليم الدين الإسلامي على يد أبويه وفي غاية كبيرة من السرية. كما حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وتعلم أسس اللغة العربية على يد أفراد أسرته. كما ظل سنين طويلة يدرس اللغة القشتالية حتى أتقنها وصار يُظن أنه إسباني.

كان أفوقاي وكما كان أمر الموريסקوس آنذاك يتحاشى أن يظهر معرفته للغة العربية إلى أن شاءت الأقدار. واشتهر بمعرفة لغة الضاد وذلك على يد الأسقف خوان مانديس سالتيرا، حيث قام أفوقاي بترجمة مخطوطة قديمة استعصى على القسيس المذكور معرفتها. فعظم أمر أفوقاي عند الإسبان لاحتياجهم إليه في لترجمة من القشتالية إلى العربية أو العكس. وحصل على رخصة للقيام بتلك المهمة.

كانت فكرة الفرار إلى بلاد الإسلام تراود أفوقاي منذ مدة طويلة. لكن هذه العملية كانت في غاية كبيرة من الصعوبة والخطر لكون النصاري كانوا بالرصاد لمن حاول ذلك. في عام 1599 سافر أفوقاي إلى إشبيلية لتجنب الأوامر التي كانت تصدر في حق الموريסקوس بعدم الهجرة، ثم سافر عبر مرفأ سانطا

1- أنا أعرف قرية بيخار. وتوجد بين الجزيرة الخضراء وقادس وهي مرتفعة جدا حتى يقال أن الإنسان بها يرى ظهر الطيور وليس بطونها. وتسمى بيغار دي لا فرونصيرا Bejar de la Frontera في بيخار العدود. وربما كانت تفصل بين حكمه النصاري والمسلمين.

ماريا قرب مدينة قادس على متن سفينة محملة بالقمح حتى وصل إلى المغرب، وبالتحديد إلى مستعمرة برتغالية كانت تسمى «مازكان» أو البريجة وهي مدينة الجديدة حاليا، حيث مكث مدة ينتظر فرصة الهرب، إلى أن تسنى له ذلك ففر إلى مدينة أزموور، وقد روى أفوقاي هربه وقال :

«عندما وصلنا إلى بوكالة (وأظن دكالة، وهذا على لسان المؤرخين الإسبان) في سوق قريب من أزموور، جاء المسلمون يسألون خادم قائد المدينة والذي كان يرافقني هل أنا مسلم؟ فأجابهم نعم، رغم هيأتي الإسبانية. فأحاطوا بي وأخذوا يلحون علي بأن أنطق بالشهادتين وفي النهاية فعلت، فقالوا : والله إنه ينطقها بطلاقة أحسن منا. ثم أتوا بالتمر وبعض المنتوجات التي تباع في السوق مع بعض النقود الفضية، فقلت لهم : أنا لا أحتاج من هذا شيئا، ولما استقبلني قائد أزموور سألتني عن رأيي في استقبال المغاربة لي فأجبتة : أحمد الله أنني لم أجد عدوا بين هؤلاء الناس، ففي بلاد النصاري لا نجد في الأسواق إلا الأعداء، ولا نجرؤ على القيام بشعائنا أو نبوح بعقيدتنا، بينما المسلمون هنا هم الذين دفعوني للقيام بها، ولما سمعوني فرحوا بذلك».

استقر أفوقاي إذا بالمغرب، وسمحت له الظروف بأن يرى السلطان أحمد المنصور في مناسبة عيد الأضحى في معسكر قرب مدينة أزموور حيث كان السلطان يتابع استعراضا للجيش، وبعد مدة وجيزة استقبل أفوقاي من طرف السلطان الذي أثنى عليه لعرفته التامة للغة العربية ليعينه بذلك ترجمانا بالبلاط الملكي، ويقول أفوقاي أن الموريسكوس الذين كانوا يوجدون منذ مدة

بالمغرب سرورا بالترحيب الذي حظي به من طرف السلطان
بقي الخيارى ترجمانا بالبلاط الملكي مدة اثنا عشر سنة إلى
حدود فترة الطرد الكبير للموريسكوس على يد فيليبي الثالث
1609-1614، ويقال أنه تزوج من بنت رئيس لجماعة الأندلسية
التي كانت موجودة بعاصمة المغرب.

لم يكن الخيارى مجرد مترجم بل كانت تسند إليه مهام يقوم
بها دوليا. فقد أوفده السلطان في مهمة إلى فرنسا عام 1612
حيث رافق وفدا من الموريسكوس، وقعت لهم سرقة بأربع مراكب
ترنسية نقلتهم من إسبانيا، فأعطاه السلطان رسالة إلى رئيس
جالية الأندلسية أو قاضي الأندلسيين، ورسالة أخرى إلى رئيس
قضاة بمدينة بوردو الفرنسية، وكان ذهبه في هذه الرحلة على
ثلاث سفينة انطلقا من مدينة أسفي حيث كان يوجد أهم ميناء
بالمغرب، فسارت السفينة في اتجاه مدينة لوهافر الفرنسية حيث
رست بمينائها، ومنها توجه أفوقاي إلى باريس. وبعد ذلك تجول
في عدد من مناطق فرنسا ليعود بعدها إلى مدينة باريس في 13
نوفمبر عام 1612 حيث وافق ذلك اليوم عيد المولد النبوي الشريف.
بعد ذلك ذهب الخيارى إلى فلاندرس وزار أمستردام وليدن ولاهاي،
ومن خلال مذكراته يتضح أنه كانت له عدة لقاءات مع النصارى
واليهود أثناء تلك الرحلة حيث حصل على عدة معلومات استعان
بها في كتابه عن المسيحية، كما كانت للخيارى عدة مراسلات مع
أندلسيين في جهات أخرى كإسطنبول مثلا.

رجع الخيارى من سفره إلى المغرب حيث عمل مع السلطان
زيدان السعدي وولده عبد الملك ثم أخيه الوليد بن زيدان.

في سنة 1635 وكان عمره 65 سنة، ركب الخيارى البحر من سلا متوجها إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج الشيء الذي كان الموريسكوس محرومين منه في إسبانيا. وعند رجوع الخيارى من الديار المقدسة توقف بمصر حيث مكث إلى حدود سنة 1637. وبها أتم تأليف كتابه «ناصر الدين على القوم الكافرين»، بإيعاز من الشيخ الأجهوري الذي كان يعمل أستاذا للمذهب المالكي بجامع الأزهر بالقاهرة. ودون أفوقاي في هذا الكتاب مغامراته ورحلته حجه وكذلك أشياء تخص إخوانه الأندلسيين.

بعد مقام الخيارى بمصر، توجه إلى تونس حيث أقام وعمل مترجما لبني جلدته الموريسكوس. وفي تونس التقى الخيارى بموريسكي يدعى إبراهيم ابن أحمد البرباص، ويقال أن اسمه محرف من الإسبانية Barbas أي اللحية، أو Arribas أي العلو، وكلتا الروايتين مصدرها إسباني. وقد قام هذا الموريسكي بتأليف كتاب عن فن المدفعية، ويتعلق الأمر حسب المؤرخين لإسبان بكتاب فريد من نوعه أنتشر وصار يعمل به في المدفعية الإسلامية. وكذلك في المغرب في أواخر القرن السابع عشر. وقد قام إبراهيم البرباص بهذا العمل لمواطنيه بعد انتهاء عمله كبجري حربي. وقد كان عمله مع الإسبان في هذا المجال قد دفعه إلى أمريكا وكل شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وقد قضى سجون الإسبان مدة سبع سنوات بعد أن أسر حين كان مركبه مبحرا في اتجاه مالقة.

وقد قام الخيارى بترجمة مذكرات البرباص إلى العربية، فبدون شك كان صاحبه قد أملاها عليه بالقشتالية. وأضاف

نخاري لهذا الكتاب مقدمة تتناول ترجمة القبطان الموريسكي تونس وقد تم هذا العمل في سنة 1638.

هذه باختصار شديد نظرة عن حياة هذا الموريسكي الفذ الملقب بأفوقاي. وتجدر الإشارة هنا بأن الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة قد أصدر كتابا عن هذه الشخصية الفريدة سماه «أحمد بن قاسم الأفوقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام».

VII- جمهورية سلا الموريسكية

في أواسط القرن السابع عشر قام موريسكيو مدينة سلا بتأسيس حكومة خاصة بهم مع اعترافهم بالحكم المغربي وسطية سلطان المركزية. ونود في هذا الشأن أن نعطي لقارئ فكرة عما سماه المؤرخون وخاصة الإسبانيون منهم بجمهورية سلا الأندلسية. كانت الخريطة السياسية المغربية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء : الحكومة المركزية التقليدية وعاصمتها فاس أو مراكش، مدينة تطوان، ومدينة سلا.

وقد أثر قيام الحكم الذاتي الذي أقامه الموريسكوس بسلا اهتمام الأوروبيين، ويقول «ميكيل ذي اسبالثا» نقلا عن مؤرخ فرنسي لم يذكر اسمه : كانت سلا بمثابة ملجأ للموريسكوس وقد كانت محكومة من طرف عناصر دينية، وكان الحكم فيها يبدو غريبا، وأحكامه بطيئة التنفيذ. لكنه كان فعالا، وكان هذا الحكم مستمدا من الإسبان.

كان هيكل الحكم في جمهورية سلا الموريسكية مكونا من

ديوان أو مجمع يضم اثني عشر شخصا، ورئيس المجمع أو الديوان كان يسمى الأميرال الكبير (أمير البحر) وفي كل سنة يتم اختيار حاكمين اثنين يتقلدان الحكم كل واحد منهما في ضفة من ضفتي أبي رقرارق أي سلا والرباط. وكانت قسبة الرباط هي مركز الحكم. وحسب المصادر الأوروبية فإن حكومة جمهورية سلا اقتبست طريقتها من أنظمة شتى خاصة الأتراك والإسبان، كما أن كلمة ديوان أخذت عن تونس والجزائر وليبيا حيث وضعت من طرف حكامها الأتراك، ولكن ألقاب القواد والرؤساء أخذوها عن الإسبان، ويتجلى من هذا أنهم لم يأخذوا شيئا عن المغرب في نظام الحكم لكونهم عايشوا الإسبان لمدة طويلة، كما أن تشبثهم بالإسلام جعلهم يقلدون أقوى دولة إسلامية آنذاك وهي الدولة العثمانية، وحتى المغرب أخذ كثيرا عن الأتراك في تلك الفترة، وخاصة النصور السعدي.

لقد تكون المجتمع السلاوي من لاجئين موريسكيين لكنهم اختلطوا بعائلات مغربية بحكم المصاهرة والمعاملات والتساكن. وكذلك من بحارة إسبان وأوربيين أسلموا. وقد طرأ تغيير على أنظمة العيش بقدوم عدد كبير من المهاجرين من مقاطعة «إكس تريمادورا» Extremadura الإسبانية⁽¹⁾. وكان هؤلاء اللاجئين يسمون هورناتشو، ويقال أنهم من مدينة في جنوب غرب إسبانيا بين إشبيلية وماردة، بعيدة عن الأولى بحوالي 170 كيلومترا شمالا وعن الثانية بحوالي 50 كيلومترا جنوبا، وهذا ما ورد أيضا في

1 اكس تريمادورا Etremadura مقاطعة إسبانية تقع تحت المرتفعات عاصمتها بطليوس Badajoz. كانت أيام الحكم الإسباني عاصمة أحد ملوك الطوائف..

كتاب «الزاوية الدلائية» لمحمد حجي.

تقلد قوم هونارتشو الحكم والإدارة وخاصة منها ما يتعلق بالمعاملات التجارية التي تسير بواسطة الشركات، فطبقوا الأنظمة التي كانت سارية المفعول في بلادهم في غرب إسبانيا في التجارة لحرية خاصة.

لقد أدت صلافة الحكم من طرف الأسترمادوريين، وسيطرتهم على باقي الأندلسيين إلى إحداث توتر في الأجواء، فرغم هذه السيطرة لم يخرج الأسترمادوريون عن سلطة السلطان إلى سنة 1626، وفي سنة 1630، قسم الحكم إلى ثلاثة مراكز حضرية : القسبة، سلا الجديدة والرباط ثم سلا القديمة.

لقد كانت لهذه الناحية أهمية قصوى في المغرب وخاصة من الناحية البحرية، وكان من بين أهداف السلطان المنصور، تنفيذ مشروع إنشاء مرسى تجارية وحربية في نفس الوقت لحلق أصول مهم كالذي كان عند السلاطين المرينيين، وشبيه بأسطول الجزائر، كما كان يريد أن تكون هذه المرسى مستعملة للدخيرة بالواجهة الأطلسية لأن مراسي البحر الأبيض المتوسط لم يكر لها اتصال جيد بالعواصم المغربية عبر البر. كما كانت معرضة للهجوم من طرف الأتراك والجزائريين. ليتمكنوا من خلالها من مهاجمة الشواضي الإسبانية.

كانت مدينة العرائش مرشحة لمشروع كالذي ذكرنا، إلا أن احتلال الإسبن لها حال دون ذلك، لذا كانت مدينة سلا مهية للحكم الذاتي حتى يتسنى لها الدفاع عن سيادة المغرب في مواجهة أعداءه في تلك الفترة، كما لم يكن لغيرها من مناطق

المغرب أن تقوم بهذا الدور نظرا للصراع الذي كان دائرا على الحكم. وهناك عامل آخر ساعد على ترسيخ وتثبيت سيطرة السلاويين، وهو نزوح الأندلسيين ولجوءهم إلى تلك الناحية هاربين من مكار إقامتهم بالعرائش والعمورة اللتان احتلتا من طرف الإسبان.

بعد هذا كله خلق مشكل جديد للموريسكوس السلاويين وهو قيام العياشي ضدهم. وكان مشهورا بجهاده ضد النصارى. ويقال بأن الغيرة من الموريسكوس السلاويين هي التي دفعته للقيام ضدهم متهما إياهم بالتعاون مع لنصارى الإسبان مستندا في ذلك على فتوى حصل عليها من علماء فس، لكن العياشي يتهمهم بالخروج عن طاعة السلطان، لكنه (أي العياشي) أغتيل من طرف عناصر من الطريقة الدلائية.

انتهت سلطة موريسكيي جهة الرباط سلا على يد مولاي رشيد عام 1668، وأدمجوا بصفة نهائية في سلطة حكومة المغرب المركزية. وهكذا انتهى نشاط هذه الطائفة من الموريسكوس بهذه الناحية من المغرب. واضطرت بذلك أن تندمج في هوية أهل الأرض أي الغاربة كما فعلت غيرها من بني جلدتها والتي كانت قد حلت من قبل بالمغرب

VIII- الموريسكوس في جيش المنصور السعدي لفتح السودان

لم يبق الموريسكوس بعيددين عن شؤون المغرب لداخلية كما أسلفنا، فقد كان همهم هو الاندماج في المجتمع المغربي ونسيان

منديات أهل الحديث في تطوان

الحن التي مروا بها الشيء الذي جعلهم يعملون بإخلاص في جل ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. وقد أدى هذا الأمر في بعض الأحيان إلى احتياط السلطة المركزية منهم نظرا لخبرتهم المتطورة والتي أتوا بها من أوربا التي كانت في أوج نهضتها. وانطلاقا من هذا تمت تجربتهم في عمل صعب وخطير وضخه حتى يبقوا تحت سيطرة السلطة الحاكمة، وبالتالي اتقاء لما قد يصدر عنهم من أعمال تخل بالنظام العام والانضمام إلى عناصر منائفة لسلطان. لذا قام المنصور السعدي بتكوين فرقة من الموريسكوس وضمها إلى جيشه لفتح السودان في القرن السادس عشر. وقد ساهم هؤلاء في هذا الحدث مساهمة فعالة. وقد اهتم كثير من المؤرخين الإسبان بهذا ومن بينهم «غارسيا كوميس»⁽¹⁾ و«ليفى بروفنسال» وغيرهم ومنهم من جعل هذا الحدث موضوعا أدبيا مكتوبا في شكل قصيدة باللهجة الكاتالونية.

أرسل المنصور السعدي إذا بعثة عسكرية إلى السودان في سنة 1591 مؤلفة من فرقة أندلسية وفرقة من الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام تحت قيادة موريسكي كان يدعى جودار باشا. وكان هذا الشخص نصرانيا في صغره ثم اعتنق الإسلام. فتم النصر للمنصور وأصبح نفوذه يصل إلى تخوم الصحراء، وتدفقت على المغرب الخيرات والأموال والذهب والعبيد. كما صار المغرب

1 - عرسب كوميس مستشرق إسباني كان أستاذ كلية الآداب بمديرية يدرس اللغة العربية والآداب الأندلسية. وكتب مدرسا مساعدا بنفس لتعبئة مدة ستر سوت، وكانت تربصي به علاقة ثقافية وطيدة، وكان عضوا بعدة أكاديميات من ضمنها أكاديمية ألمكة لعربية

يروج منتوجاته في تلك الأماكن. وبذلك ارتاح المنصور السعدي من منافسيه الذين كان يخشاهم. وقد حصل كذلك على توازن عسكري مع دول البحر الأبيض المتوسط وخاصة الإسبان الذين كانوا قد انتصروا على العثمانيين في موقعة «لبانطو»، فأصبح الإسبان والبرتغاليون مقيدون في المناطق التي كانوا يحتلونها في الشواطئ المغربية.

IX- تأثير الموريسكوس في الميادين العلمية والثقافية والفنية

إذا كانت أوروبا نفسها استفادت من التقدم العلمي والثقافي والفني للأندلسيين في القرون الوسطى، فالمغرب كذلك. وبعد هجرة الموريسكيين إليه تأثر كثيرا بما كانوا يحملون معهم من معرفة في ميادين شتى لا زالت معالمها واضحة إلى عصرنا هذا. ويتجلى من هذا أن الإشعاع الحضاري والإرث الثقافي الأندلسي وصل إلى القرن العشرين وسيتواصل على امتداد القرون المقبلة بمشيئة الله بالطريقين الأوروبي والمغربي. وقد احتفظ المغرب بالقسط لوافر من هذا الإرث نظرا لعدة أسباب وعوامل ذكرناها بإسهاب في الفقرات السالفة. وهذا إذ دل على شيء فإنما يدل على حنين المسمين بصفة عامة والمغاربة منهم بصفة خاصة إلى الفردوس المفقود الأندلس. كيف لا والأمة الإسلامية أضحت بذهاب الأندلس مقصوفة الجناحين لا تقوى على التحليق في أجواء التقدم والرفق.

لقد طبع الموريسكوس المغرب ببصمات واضحة في جل ميادين الحياة، وسنتطرق في هذه الفقرة إلى بعض الأسماء التي

أغنت المجال العلمي، والثقافي في المغرب على أن نعمل مستقبلا إن شاء ربنا على التعمق في هذه الجوانب معتمدين على مؤرخين من مشارب مختلفة حتى تكون الشهادة التاريخية أكثر تكاملا وخالية من أي تعصب وانحياز.

كان الأندلسيون الذين أثروا في الحياة الثقافية بالمغرب بمثابة صلة الوصل بين الثقافتين الإسلامية والنصرانية، لكون أغلبهم كان يتقن اللغتين العربية والإسبانية وساهموا بحظ وافر في الترجمة بين اللغتين، بل حتى من العربية إلى البرتغالية.

من بين المورسكيين الذين ساهموا في إثراء الميدان العلمي والثقافي نذكر الغزالي في نهاية القرن السابع عشر، ويوسف الحكيم الذي كان متضلعا في العلوم الطبية وعلم التنجيم وفلسفة، وقام بترجمة مبادئ علم الفلك. كما اشتهر أيضا في مجال الترجمة بالإضافة إلى الخياري بيخرانو الذي تطرقنا إليه بتفصيل في فقرة سابقة، خون الفونصو أراغور، كان في الأصل مسيحيا، وقد كتب قصيدة ضد النصرانية بمدينة تطوان. وكذلك محمد الوزير وهو موريسكي من باسطرانا كتب في عهد سلطان مولاي زيدان ضد القانون المسيحي باللغة القشتالية.

واشتهر كثير من الموريسكيين في عدة ميادين علمية كرئيس أطباء علي إبراهيم الأندلسي والذي كتب مواضيع شعرية عن ندة فواكه وطبيعتها وعلاقتها بطب العيون وعن نباتات طبية. فوائدها في العلاقات الجنسية، وكان من أشهر المنجمين أندلسيين وتوفي بمراكش 1613. وهناك أيضا أحمد بن سيو أندلسي الذي أقام بفاس والذي كتب لصديقه الخياري تكهنات

في علم التنجيم.

وهناك من العلماء من كان يعتزل البلاط الملكي أو المدن وقيم بالبادية ليستفيد ويفيد الناس من علمه، ومنهم محمد بن علي الشاطبي من مدينة شاطبة بالأندلس، وقد أقام هذا الرجل بقبيلة بني زروال يعلم ويطبق علمه كأستاذ وباحث في علم الزراعة والصيد وكذلك علم التنجيم الذي ألف فيه كتاباً.

كما اهتم الموريسكوس بتأسيس المكتبات كمكتبة القصبة بالرباط، وقد ترك بهذه المكتبة البحري والعسكري والتاجر أيضاً عبد الله الأندلسي والمعروف بالقصري، مصحفاً للقرآن الكريم خطي أتى به من الإسكندرية في طريق عودته من الديار المقدسة بعد أداء فريضة الحج.

وقد اشتهر بعض الموريسكيين بفن الخط فكانوا خطاطين ماهرين كمحمد العدي الأندلسي بفاس.

ومن بين الميادين التي أبدع فيها الأندلسيون أيام ازدهار الأندلس ميدان الموسيقى. وما موسيقى الآلة المتداولة اليوم في المغرب إلا امتداد للإرث الحضاري الرفيع الذي نقله الأندلسيون الذين هاجروا إلى المغرب، ورغمة ضياع عدد من نوبات هذا الفن وامتزاجه بالفن المغربي المحض ظلت معالم أصله الأندلسي واضحة ومتجلية في ما تبقى من نوبات لا زالت تدرس في المعاهد الموسيقية بالمغرب وتؤديها كثير من الفرق الموسيقية المختصة. وندعو الله أن يعيننا مستقبلاً حتى نخصص بحثاً تاريخياً في هذا الموضوع.

وبإيجاز نورد هنا أسماء بعض الموريسكوس الذين ساهموا

في إثراء الفضاء الثقافي والعلمي بالمغرب. ومنهم : ابن سودة وهو من مهاجري غرناطة عند سقوطها عام 1492. والذي أقام بفاس. وقد أعطت هذه العائلة كثيرا من المثقفين والعلماء. وأبو قاسم وكان قاضيا في تازة وفاس ومراكش وتوفي عام 1596. وأبو عبد الله المتوفي عام 1795. وابنه أبو العباس المتوفي عام 1820. وأبو عيسى الذي ترك مخطوطا عن رحلته إلى الشرق. كما لا ننسى بعض الشخصيات التي ساهمت في الميدان العسكري كالقائد جودار الذي ترأس حملة عسكرية إلى تمبكتو، والتطوان غيلان الذي كان يهاجم الإسبان والبرتغاليين المتمركزين بالشواطئ المغربية.

وقد تقلد الموريكيون عدة مناصب في دواوين الحكام نذكر من بينهم المدعو القاسمي دي كارديناس والذي برز اسمه في عام 1621 بعد وفاة الزعيم أحمد بن عيسى النقسيس. وكان القاسمي يتقن اللغتين الإسبانية والعربية وكان من العدول المشهورين في عصره وقد أقام بمدينة تطوان

الموريسكوس في الجزائر

لقد كان وضع الموريسكوس في الجزائر يختلف عن وضعهم في المغرب، وذلك بسبب اختلاف الأوضاع السياسية في كلا البلدين. فرغم كون الشعور الأخوي اتجاه الموريسكوس من الناحية الدينية كان هو السائد في الدولتين إلا أن تأثير المناخ السياسي كان أقوى على اعتبار أن المغرب كان بلدا مستقلا، يتمتع بسيادة كاملة، ويتصرف في شؤونه كما تمليه عليه الظروف، بينما كانت الجزائر لا تستطيع التصرف بحرية في شؤونها. ذلك أن السلطة العثمانية بتركيا كانت تعتبر الجزائر ولاية تابعة للباب العالي بإسطنبول. إضافة إلى هذا كان قسط وافر بمنطقة شمال الجزائر محتلا من طرف الإسبان كمدينة وهران والمرس الكبير.

لقد انعكست هذه الوضعية السياسية سلبا على هجرة الموريسكوس من حيث العدد، حيث كان عدد المهاجرين إلى الجزائر أقل بكثير من المغرب.

بدأت هجرة الموريسكوس إلى الجزائر (كما كان الشأن بالنسبة لشمال إفريقيا عامة) مع بداية سقوط المماليك الإسلامية في يد النصارى. حيث حط الرحال من هاجر آنذاك في بعض المدن التي كانت خاضعة للسلطة المغربية الموحدية كتلمسان ونواحيها. ثم عند نهاية الحكم الإسلامي بسقوط غرناطة عام 1492 تقاطر على الجزائر عدد كبير من المهاجرين وخاصة إلى الشواطئ القابلة لإسبانيا. كما تدفق كم كبير من الموريسكيين على الجزائر إبان ثورة غرناطة عام 1502.

استقر أغلب المورييسكيين الذين قدموا إلى الجزائر في الحواضر، أما في البوادي فكان وجودهم غير مرغوب فيه من طرف أهاليها. وذلك ربما للمضايقة التي بدأوا يحسون بها في الميدان الفلاحي من طرف المورييسكوس. وهناك عامل آخر جعل المورييسكيين يفضلون الاستقرار بالحواضر هو كونها كانت محصنة ومراقبة من طرف لسلطة المركزية، بخلاف البوادي التي كانت شبه منفصلة عن السلطة، وحتى في الحواضر كانت تحدث مشاغبات وثورات من طرف لمورييسكوس بسبب نزاعاتهم مع الأتراك الذين كانوا يسيطرون على الوضع في الجزائر، سيما وأن من بين المورييسكيين من كانوا من طبقة أرستقراطية يرفضون السيطرة، والأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم مستعمرين. ثم هناك عامل اللغة والعادات الشيء الذي أدى إلى حدوث اصطدامات متكررة حتى أن بعض المورييسكيين اضطروا للعودة إلى إسبانيا متظاهرين بالولاء والتمسك بالدين المسيحي.

جاء عند بعض المؤرخين أن جل النازحين إلى الجزائر كانوا من نواحي أراغون، وبلنسية، وكاتالونيا، وكانوا يتقنون عدة حرف. فكان منهم صانع المسدسات والبارود، والعارف بالحداثة والنجارة والبناء والخياطة وصناعة الأحذية، إلى غير ذلك، وكذلك بعض المهن الفنية كصناعة الحرير والخياطة والطرز والحياكة. وصار هؤلاء تدريجياً يندمجون في المجتمع التركي بالجزائر ويتحلون بأخلاقه ويلبسون لباسه في شكله وهندامه، وفي هذا السياق نذكر ما قاله الرحالة الفرنسي «روجير دي طاسي»: فقد قال «أن أغلب الأندلسيين استقروا بالمدن حيث اكتسبوا عقارا

وأملأها، وصار المرء لا يرى إلى سحنات أهل الأندلس على الوجوه». وقد كون هؤلاء الأندلسيون مجتمعا غنيا وطبقة أرستقراطية إلى جانب الطبقة التركية الحاكمة. وكان نشاطهم يتجلى أكثر في الجزائر العاصمة. وقد كون الأندلسيون مركزا تجاريا مهما بالمغرب العربي في القرن السابع عشر الميلادي. وقد تدفقت الخيرات على الجزائر في هذه الفترة بفضل نشاط أهل الأندلس إضافة إلى درايتهم بالقرصنة في البحر في هذا الوقت. وقد عمل هذا النشاط على إحياء عدة مدن بعد أن كانت في حكم الاندثار مثل شرشيل، وبليدة. وقد أدخل الموريسكوس بعض الزراعات الجديدة، كالقطن بمستغانم والكروم بعنابة. ويعود ازدهار الموريسكوس الاقتصادي إلى علاقتهم الاقتصادية بأقطار حوض البحر الأبيض المتوسط، كالمغرب وتونس وليبيا ومصر وتركيا.

في مجال هندسة المياه، عمل الموريسكوس بإتقان، وجلبوا الماء للجزائر العاصمة بواسطة قنوات خاصة بقيت من عهد الرومان تشبه القناطر في هندستها، فسخروها بمعرفتهم وخبرتهم لجريان الماء الشروب لعاصمة. وقد نسب بعض المؤرخين هذا إلى مهندس كان يدعى موسى، ومشروع الماء هذا بالعاصمة خرج إلى حيز الوجود عام 1610-1611، في عهد الباشا مصطفى خوجة. وقد بقيت طريقة توزيع الماء بهذا الشكل إلى حدود القرن الثامن عشر، حيث قام كذلك مهندس موريسكي يدعى «كاسطيو» باكتشاف منبع للماء في هضبة قرب حصن يدعى حصن الإمبراطور، في ضواحي المدينة، فقام المهندس

كاسطيو بعرض مشروع إيصال الماء إلى المدينة بواسطة نحو مائة نافورة «السقاية» داخل المدار الحضري. فلقي مشروعه الاستحسان والموافقة من طرف حاكم المدينة. وقد نفذ المشروع فعلا وتم إيصال ضواحي المدينة والتي كان يقصنها الأندلسيون بعدما كانوا يستعمدون أواني الفخار، الخوابي، لجلب وادخار الماء.

في القرن السادس عشر، والسابع عشر، كان البحر الأبيض المتوسط عبارة عن حد فاصل بين الإسلام والمسيحية وكانت حركة لقرصنة مزدهرة بين الجانبين. ويقول المؤرخون أن الجرائر في هذا العصر اتخذت لأول مرة صفة دولة مستقلة يديرها خير الدين المدعو عند الأوربيين آنذاك «باربّا روكّا» أي اللحية الحمراء، وكان معضدا من طرف العثمانيين حتى أنه تسلم من لخليفة العثماني ظهيرا رسميا به خطاب موجه إلى الأندلسيين بالجزائر بتاريخ 16 أبريل 1570 يحثهم فيه على الدفاع عن الإسلام ونورد هنا بعض ما جاء فيه : «بمشيئة الله شرعنا في إرسال قوتنا المنتصرة نحو شواطئكم، فإن هذه القوات نراها ضرورية وهي من الآن على أهبة، وقد وجهنا أيضا أوامرنا الأميرية صارمة إلى حاكمنا بالجزائر ليمدكم بكل ما تحتاجون من إعانة لأنكم برهنتم على إخلاصكم في الدفاع عن الإسلام ولم تتركوا دينكم رغم معارك الكفار التي واجهتكم، فالله يعينكم وقد برهنتم بحضوركم على شجاعتكم».

لقد كان الأندلسيون يشكلون العمود الفقري للجيش الجزائري، وقد كانوا فنيين في الشؤون الحربية وخاصة في سلاح البارود.

وحسب المؤرخين الإسبان فقد كان للأندلسيين تأثير في
أوساط الجيش بالجزائر بل حتى خارجها، وخاصة أواسط القرن
السابع عشر، ويستدل على هذا بكون حاكم تونس آنذاك استدعى
المدعو خاميرو الأندلسي الغرناطي للعمل بمرسى الجزائر وبناء
مرفأ عسكري بها. كما كان للأندلسيين دراية كبيرة بميدان
القرصنة وكان ذلك في الغرب كذلك وكما أسلفنا الذكر
بخصوص مدينة سلا الغربية. وقد كان الأندلسيون خبراء في
القرصنة وكذلك الملاحة التجارية. وقد سهل عليهم في ذلك
معرفتهم الجيدة بجغرافية الأندلس وأحوال البحر، وكانت مرسى
الجزائر هي منطلق القرصنة والتجارة البحرية، وكان بجانب
العاصمة مركز «شرشيل» للأغراض البحرية وصناعة السفن، وكان
هذا المركز مأهولا بالأندلسيين أكثر من غيرهم، ومنه تنطلق
الحملات الجهادية البحرية ضد النصارى في الأبيض المتوسط.
وحسب الروايات الإسبانية فجل سكان شرشيل هم أندلسيون من
غرناطة وبلنسية ومنطقة أراغون. في الميدان الزراعي، كان
للمورسكيين دور كبير في الجزائر، حيث أدخلوا إليها أنواعا كثيرة
من الفواكه والبواكر، وكذلك بعض المنتوجات الزراعية الأمريكية
الأصل، وأقاموا مزارع عدة بالقرب من المدن قصد مدها بالمواد
الغذائية الضرورية وعملوا على سقي تلك المزارع بخبرتهم في
هندسة توزيع المياه التي أتوا بها من الأندلس. **منتديات أهل الحديث في تطوان**
لقد كان الموريسكيون في الجزائر ممسكون بجل قطاعات
الاقتصاد، وكانوا يتقنون عدة صناعات وكثيراً من الحرف في غاية
كبيرة من الجودة والإتقان، فاشتهروا على الخصوص في صناعة

نسيج، والحريير، والزليج والحلي والزرابي. فكان لذلك الموقع
بـيجابي عى الرواج الاقتصادي بالعاصمة الجزائرية. فقد كان
نهم أرباب شركات ومقاولات إلى غير ذلك. وقد انتقلت صناعة
حرير من غرناطة إلى الجزائر وكان الموريسكيون هم المختصون
بها. ويقال أنها انتقلت من الجزائر إلى إيطاليا، كما امتهنت هذه
نصناعة النساء الموريسكيات المهاجرات إلى الجزائر .

كان الموريسكوس خبراء في الطب والجراحة. فنقلوا
خبرتهم إلى الجزائر . ومنهم المدعو «خابيير» . والجراح «غارسيا
دياس» . فالطبيب خابيير من بلنسية وقبل أن يغادر مدينته بيع
لأن تجارة لرقيق كانت رائجة في القرن السادس عشر وخاصة
بين أسرى الحرب أو في عمليات القرصنة. أما الجراح «غارسيا
دياس» فأصله من مدينة طليطلة.

كانت الأسر الموريسكية متحدة بينها مؤازرة لبعضها البعض .
تمد يد المساعدة لمن أراد أداء فريضة الحج. فرغم وجود صعوبات
في أول الأمر للاندماج مع الأسر الجزائرية. تمكنوا من التأقلم.
فقد كانت لديهم في أول الأمر بعض العادات التي لم تلق تفهما
من طرف الجزائريين الذين كانوا يعتبرونها عادات نصرانية
كمسألة ختان الأطفال. التي كان بعض الموريسكيين يخشون
القيام بها. رغم كونهم وكما قال حجي خليفة كانوا يقومون
بشعائرهم الدينية الإسلامية على ما يرام. ويشيدون المساجد
والحمامات ويؤدون المناسك كلها على أحسن وجه.

الموريسكوس في تونس

لم تكن هجرة الموريسكوس إلى تونس بنفس الكثافة التي كانت عليها في اتجاه المغرب والجزائر. وكان هذا الأمر راجع إلى عدة عوامل :

1- لم يكن أمر إقامة دولة موريسكية هينا بتونس. بسبب الهجمات المتكررة للبحرية الإسبانية على شواطئها. وكانت الدولة التركية عاجزة عن صدّها نظراً للهزيمة التي منيت بها البحرية التركية مع نظيرتها الإسبانية في معركة «لبانطو» عام 1572 قرب جزر البليار.

منتديات أهل الحديث في تطوان

2- قرب المسافة بين الأندلس والمغرب والجزائر جعل الموريسكيين يتقاطرون بكثرة على هذين القطرين. خاصة بعد حرب البوشرات عام 1568⁽¹⁾. والتي انهزم فيها الموريسكوس.

3- لم يتقبل التونسيون آنذاك الموريسكيين الوافدين على بلادهم بسهولة. فقد كانت عاداتهم ومظهرهم أقرب إلى النصارى منه إلى المسلمين. فكيف لا وقد عايشهم طوال قرن ونيف من الزمن. الشيء الذي جعل التونسيين يرفضونهم. بخلاف الموريسكيين الذين دخلوا إلى تونس قادمين إليها من الجزائر والمغرب. فقد كانت أحوالهم لا تختلف عن أحوال أهالي هذين القطرين نظراً للمدة الطويلة التي قضوها بين ظهرانيتهم. وكان هؤلاء هم الموريسكيون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس بعد

1 محنة الموريسكوس في إسبانيا لمؤلف

سقوط غرناطة. فكونوا جيلاً أو جيلين بالجزائر والمغرب، فكان التونسيون ينظرون إليهم على أنهم مغاربة أو جزائريون.

4- كان للنفسوذ العثماني بتونس نظرة خاصة عن الموريسكيين ولم تكن تونس تتمتع باستقلالية في التصرف كما كان الشأن في المغرب، بل حتى في لجزائر التي كان للداي نوع من الحرية، وكان يتصرف دون تفويض من إسطنبول في كثير من الحالات.

كانت هذه نظرة مقتضبة عن الأسباب التي كان لها تأثير سلبي على إقامة الموريسكوس في تونس، من حيث العدد.

كانت هجرة الموريسكوس إلى تونس تتم غالباً عبر مدينة مارسيليا بفرنسا، وقد كان تجار من الموريسكوس أنفسهم يتعاضون لتجارة رحلات الموريسكوس من مرسى مارسيليا إلى تونس ويكون هذا غالباً في بواخر فرنسية لتجنب أعمال القرصنة. ومن بين من اشتهروا في هذه التجارة المدعو «خيرونيمو أزيكس»، وهو موريسكي من مقاطعة أراغون بإسبانيا. كان يقيم بمارسيليا ويؤمّن رحلات الموريسكوس من إسبانيا إلى فرنسا عبر البر ومن فرنسا إلى تونس عبر بواخر فرنسية. وكان لهذا الموريسكي علاقات مع العثمانيين الذين كانوا يتفاوضون مع فرنسا وفينيسيا قصد السماح للموريسكوس المرور من أراضيهم إلى بعض لدول الإسلامية.

كان الحكام الأتراك بتونس قساة، لكنهم بالمقابل متساهلين مع الموريسكيين كإعفاء مركبهم من الأتاوات. ومنحهم تسهيلات في السكن. وكان رجال الدين بتونس يهيّبون بالناس بأن يعاملوا

الموريسكوس معاملة الأخوة. وكان الموريسكيون يصطدمون ببعض العقبات كجهلهم باللغة العربية خاصة عند أدائهم لشعائرهم الدينية، كالصلاة.

إذا كان الموريسكوس قد اندمجوا في المجتمع التونسي، فإنهم لم يفقدوا عوائدهم، الإسبانية التي كانت لا تخلو من بعض الطقوس المسيحية لكونهم كانوا قد تعايشوا مع النصارى لمدة طويلة تربو عن القرن ونيف من الزمان، من سقوط غرناطة إلى أواخر أيامهم في القرن السابع عشر. ورغم ذلك التضارب في العوائد والتقاليد، استطاعوا أن يتكيفوا مع الوسط الجديد في تونس آنذاك والذي كان مزيجاً من العوائد العربية والتركية

وقد ورد عن المؤرخين الإسبان أن أغلب الموريسكيين الذين هاجروا إلى تونس كانوا ينتمون إلى نواحي أراغون، وكاتالونيا، وقشتالة، وكان جلهم لا يعرفون العربية، فقد كان العهد متقادماً بينهم وبين لغتهم الأصلية، بسبب سيثهم بين ظهران النصارى لأزيد من قرن من الزمن، وتوجد بتونس مخطوطات موريسكية باللغة الرومانسية (وهي إسبانية ذلك العصر) حسب قول المؤرخ أليفير أسين Oliver Asin⁽¹⁾.

لقد كان جل الموريسكوس القادمين إلى تونس لا يعرفون اللغة العربية لأنهم كانوا من الأواخر الذين بقوا في إسبانيا مختفين متظاهرين بالمسيحية وخاصة في أواخر القرن السابع

1 أليفير أسين هو حفيد لمستشرق أسين بلاسيوس Asin Palacios وكان أليفير صديقاً لي عندما كان يدرس الأدب الإسباني بمعهد الراميرو دي ميسطو بمدريد وكتب أدرس بنفس المعهد.

عشر. وكان من ضمن هؤلاء من كان أصهه من قشتالة وقد بقوا
بهب مدة طويلة، وكسان يحسق عليهم لقب «المدجنون»⁽¹⁾
"mudajares". وكان المدجنون لا يعرفون إلا اللغة الإسبانية
بسبب طول مدة خضوعهم لحكومة النصارى لعدة قرون قبل
استيلاء غرناطة بل حتى الذين كانوا من أصل غرناضي كانوا قد
ضلعوا لغة عربية وصاروا يجهلون معرفتها وخاصة في أواسط
القرن العاشر عشر. إلا النادر منهم والذين كانوا يتكلمون العربية
بجودة وبصحة شديدة. وقد بقي هؤلاء يكتبون في تونس
بالإسبانية (الرومانسي). وسمح به بذلك من قبل المسؤولين حتى
أنه قد عثر على بعض المخطوطات في هذا الشأن حسب بعض
البحرنيين. إسبان أمثال: أليخاندرو Oliveras وأنريكي كاليسر
وغيرهم. وجرى ما عثر عليه يتناول مواضيع دينية، وشعرية،
وحكماء، وأخلاقية، ولكن هذه اللغة لم تعمر طويلاً بين
المهاجرين في تونس حيث أتى جيل جديد مغرب. كما أن
مدرسة تونسسية عمت على إلقاء مدرّس الموريسكوس التي
تدرس فيها اللغة الإسبانية. وأمرتهم بتعليم اللغة العربية لأبنائهم
وقد كانوا من قبل يدرسون جميع المواد باللغة الإسبانية بما في
ذلك تاريخ تونس، فقاموا، بترجمة كل ذلك إلى العربية، وقد
ساعدهم في ذلك موريسكي يدعى «محمد كورال».

نقد هم نشاط الموريسكوس في تونس جل ميادين الحياة
منها الاقتصادية والفنية، والعسكرية، وغيرها.

1. نظر كتاب لمؤلف تحت عنوان «تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان».

ففي الميدان العسكري، ساهموا في ازدهار صناعة السفن المستعملة في مجال القرصنة، كما قاموا بتكوين فرق عسكرية «مليشيات»، وكذلك خبراء في المدفعية.

أما المجال الثقافي فقد عرف في أيامهم ازدهارا كبيرا، لكونهم أتوا بثقافة إيبيرية ساهمت في النهضة الثقافية آنذاك في عصر العثمانيين.

وساهموا كذلك في الميدان الاقتصادي الذي ازدهر بفضل اتصالهم بإسبانيا، كما لا ننسى الميدان الصناعي الذين كان لهم فضل كبير فيه خاصة مع الموجة الكبرى المهاجرين في القرن السابع عشر، وقد كان من بين الموريسكيين تجار حملوا معهم أموالهم فوظفوها في تونس، ومن بين هؤلاء «مصطفى دي كارديناس» الذي كان يترأس مجموعة من المهاجرين وأحد وجهائها، ومن الموريسكوس من تولى وزارة الاقتصاد. ومما اشتهر به الموريسكوس الصناعات اليدوية التي أتوا بها من الأندلس سواء في الجلد أو الخشب أو النحاس إلى غير ذلك من المواد، كما تفننوا في صناعة ما يسمى بالشاشية المشهورة بشمال إفريقيا خاصة بالمغرب وتونس. وكان من بين الموريسكيين في تونس شعراء وكتابا نذكر من بينهم المسمى «عبد الرزاق كاراباكا»، كما ترك الموريسكوس بتونس آثاراً مهمة في فن البناء والزخرفة في الفسيفساء، وأتقنوا كذلك صناعة النسيج وخاصة الحرير على يد النساء الموريسكيات.

أما الزراعة فقد ساهموا في ازدهارها بحظ وفير وذلك لإتقانهم ودرايتهم الكبيرة بميدان ري الأراضي، وقد تعاطوا

كذلك لتجارة الجلود التي كانوا يأخذونها من الماشية التي كانوا يربونها في الأراضي الفلاحية، وقد كانت هذه التجارة في يد اليهود التونسيين، وقد قام الموريكيون ببناء الحصون العسكرية، وعبدوا الطرق بالأحجار حتى يمكن للعربات السير بسهولة. وشيد الموريكوس المساجد ومن بينها المسجد الشهير بمدينة توستور، وكذلك مسجد سليمان الذي يحتوي على كتابات موريكية فوق جدرانها وقد بني في عصر وصول الموريكوس إلى تونس.

الموريسكوس في تركيا وأوروبا الشرقية

لم تقتصر هجرة الموريسكوس على بلدان شمال إفريقيا بل شملت كذلك أقطارا أخرى إسلامية وغير إسلامية وخاصة أثناء الطرد الكبير للموريسكوس بين سنتي 1609 و1614 حيث كانت جحافل من الموريسكيين تغادر إسبانيا مستعملة مختلف الطرق والوسائل، وبما أن عددا كبيرا منهم كان قد استقر بالمغرب، كان على المتأخرين منهم أن يبحثوا على ملجأ آخر غير شمال إفريقيا، لذلك توجهوا إلى البلاد التي كانت تحت نفوذ العثمانيين ليكونوا في مأمن من كل سوء قد يأتي من عدوهم نظرا لعظمة الدولة العثمانية آنذاك. فشد الموريسكوس الرحال إذاً إلى تركيا وأراضي البلقان التي كانت ولاية عثمانية حيث كانت توجد مدن وقرى زاهرة ومأهولة بالمسلمين. فوجد الموريسكوس بها أمنا وطمأنينة، بينما كان من هاجر منهم إلى الشمال الإفريقي معرضين لبعض المتاعب وخاصة من أقام قرب الشواطئ التي كان بعضها محتلا بأعدائهم من إسبار وبرتغاليين

كان المسلمون في الأندلس أيام حربهم ضد النصارى، يعلقون آمالا كبيرة على العثمانيين في مساعدتهم في كفاحهم بالأندلس، وخاصة مملكة غرناطة وذلك بعد انتصار العثمانيين على البزنطيين واحتلالهم للقسطنطينية عام 1453 على يد محمد الفاتح. وكان العثمانيون يعتمدون على الموريسكوس في ميدان التجسس على الإسبان سيما وأن تركيا وإسبانيا كانتا قويتين في ذلك العصر، الأولى في الشرق، والثانية في الغرب، وكان الصراع

سنة 1541. وقد وقعت معارك كبيرة بينهما خاصة في
الحرب ومنها معركة التي حدثت يوم كاريوس الخامس قرب
البحر في العاصمة عام 1541، كما قامت تركيا بمساعدة مجاهدي
الأسبان سنة 1570 في حرب البوشر التي تزعمها فرناندو دي
بلنور (محمد بن أمية)⁽¹⁾، لكن مساعدة تركيا لموريسكوس لم
تكن بالشكل الذي يمكن أن يقب مو زين لقوى لصالحهم،
وبالتالي لم تحقق النتائج التي كانت متوخاة من مساندة
العثمانيين.

ساعد البطاركة الموريسكيين على إقامة بيمبراطوريتهم ماديا
ومعنوي عيش منحوهم حرية العمل والتنقل، وقد جعل
الموريسكوس نظامبول طريقا للهجرة إلى داخل أوروبا كفرنسا
وإيطاليا.

وقد قام الموريسكوس في بعض الأحيان بإيفاد بعثة منهم
لبعض ملوك أوروبا يستعطفونهم لسماع لهم بالمرأسهم
ومن هؤلاء الملوك: جاكوب الأول ملك إنجلترا وزرلاندا
واسكوتلندا، والوصية على عرش فرنسا ماري دي مرتديس.

وقد قام الأميرال العثماني جليل باشا بزيارة للمغرب
للتفاوض مع المسؤولين حول موضوع الموريسكوس، كما قامت
بعثة برئاسة عبي سيمان بزيارة لبلغراد فاستقبلها الوزير مراد
باشا وبحثا موضوع هجرة الموريسكوس في اتجاه بلاد البلقان التي
كانت تحت النفوذ العثماني.

(1) نصر كتب «محنة الموريسكوس في أسبانيا» للمؤلف

وهكذا فقد نزح كثير من الموريسكيين إلى تركيا حيث منحتهم الدولة العثمانية أراضي للإقامة وكذلك من أجل الفلاحة، فأسسوا قرى ازدهرت فيها الحركة التجارية والاقتصادية والفلاحية، إلا أن دور الموريسكوس لم يكن أساسيا في أراضي البلقان وتركيا كما كان الشأن في شمال إفريقيا حيث لعبوا دورا طلائعيا في شتى الميادين، أما في البلقان وتركيا فقد اكتفوا بالعمل الفلاحي والتجاري وكذلك السمسرة بين أوروبا والشرق مبتعدين كل البعد عن العمل السياسي.

الموريسكوس في أمريكا

بعد سقوط غرناطة، وسيطرة النصارى على بلاد الأندلس كلها ونقضهم العهد اتجاه المسلمين، اضطر هؤلاء للهجرة إلى خارج إسبانيا، فبعد أن تطرقنا لهجرتهم للمغرب العربي، وبلاد البلقان وتركيا، نلقي في هذه الفقرة نظرة جد موجزة على وجهة أخرى قصدتها الموريسكوس وهي أمريكا وخاصة أمريكا الوسطى والجنوبية التي كان الإسبان والبرتغال مسيطرين عليها مباشرة بعد اكتشاف العالم الجديد من طرف كرتسبال كلون عام 1492 (وهي سنة سقوط غرناطة).

فبعد هذا الاكتشاف اضطر المكتشفون إلى تعمير الأرض الجديدة وذلك لكون السكان الأصليين له يتأقلموا مع المكتشفين. ولم يقبلوهم لأنهم كانوا بعيدين عنهم في كل شيء، وكانوا يرونهم أعداء لهم. فاضطر المعمرون لجلب اليد العاملة من خارج

أمريكا، فاستغل الموريسكوس هذه الفرصة، وصاروا يغادرون وطنهم تحت ستر نشر المسيحية مع المسيحيين ظاهرياً، أما غرضهم الأساسي فكان هو الهروب من رقابة محاكم التفتيش.

استقر الموريسكوس بالعالم الجديد وساهموا في تعميره وازدهاره بخبرتهم في إصلاح الأراضي وزراعتها، ففي القرنين السادس والسابع عشر ذهب عديد من المهاجرين إلى المستعمرات الإسبانية بالكسيك وبوليفيا وكولومبيا وكواتمالا وكوبا وكان هؤلاء المهاجرين متعددي المهن والحرف من مزارعين وبنائين ونجارين، فحملوا معهم فنهم وعملهم وتركوا في تلك الديار بصمات في لبناء والزخرفة والنقش على الخشب والحديد، ولا زالت إلى يومنا هذا بنايات في عدة أماكن من دول أمريكا تشهد على تأثير فن الموريسكوس، وتوجد بعض آثار هذا في بعض ولايات أمريكا الشمالية كالفلوريدا وكاليفورنيا التان كانتا تابعتين لإسبانيا فيما قبل.

وقد ذكر الباحث الأمريكي بيرفنك⁽¹⁾ في نشرة دورية يصدرها عن آثار الموريسكوس أو المدجنين بأمريكا، يقول الدكتور ارفينك في نشرته تحت عنوان «الفن المدجن بأمريكا»: أن الفن المدجن هو ثمرة المهن الإسلامية المتبقية في قرى الوسط والشمال الشرقي لإسبانيا وعلى الخصوص المهن التقليدية بعد المد المسيحي على هذه المناطق حيث اضطر العديد من المهنيين في

1. بيرفينك هو من أصل كندي وجسيته أمريكية، أستاذ باحث في عدة جامعات أمريكية. أسم هو وروجه، ويصدر نشرته دورية يعرف فيها بأثار الموريسكوس بأمريكا، وهو مؤسس لمسجد بأمريكا، تعرفت عليه بالرباط بواسطة منظمة الإيسيسكو.

القرنين السادس والسابع عشر إلى الهجرة للمستعمرات الإسبانية مثل المكسيك، والبيرو العليا (بوليفيا حالياً) وغرناطة الجديدة (كولومبيا الجديدة) وكواتيمالا وكوبا، ففي هذه المناطق كانت التركيبة الاستعمارية قد حملت معها مكونات الفن المدجن سواء في الحديد أو الخشب إلى غير ذلك.

وقد تطرق إلى هذا الموضوع كذلك المؤرخ المكسيكي مانوال توسان في كتابه : «الفن المدجن بأمريكا 1946»، وقد استمر هذا التأثير حتى يومنا هذا حيث يبدو جلياً في الأسواق المركزية والبنائات العمومية وداخل بعض دور السينما التي أنشأت في أوائل القرن العشرين.

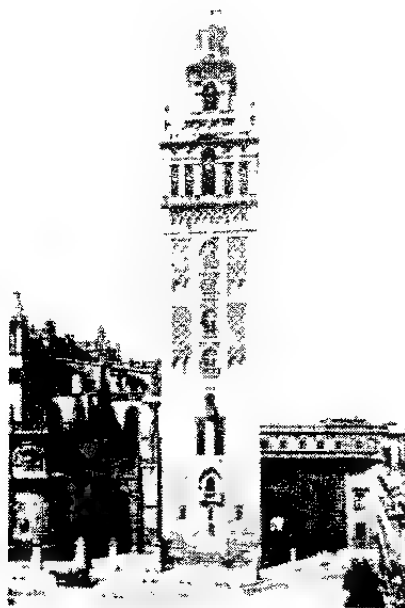
لا شك إذاً أن موضوعاً كهذا يستحق عناية كبيرة حتى يتم العثور على وثائق ومخطوطات تبرز أهمية تأثير الموريسكوس في هذا الجزء من الأرض .

صور تبين تأثير الموريسكوس عبر القارة الأمريكية

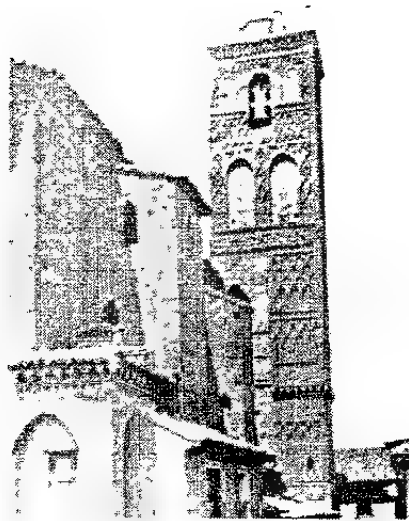
المصدر: كتاب
حرف الفن المدمج بأمريكا
للباحث الأمريكي المسلم
طوماس أرفينغ



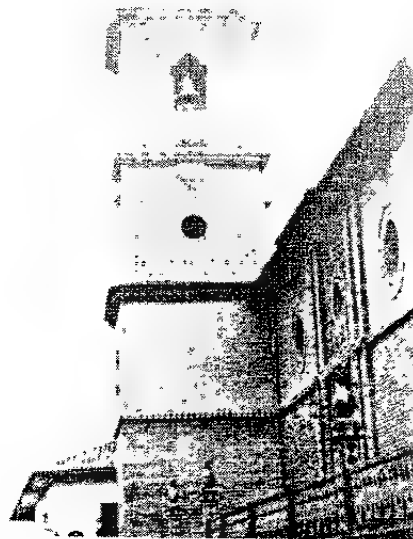
Alcaz de la Kutub'ya
Siglo XII
Marrakech, Marruecos



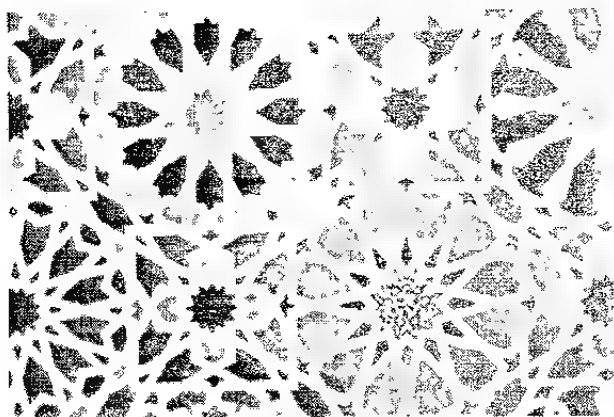
La Giralda
Alminar de la Mezquita Muwahhida (o "Almohade")
Siglo XII
Sevilla, España



Torre de San Gil
Zaragoza, España



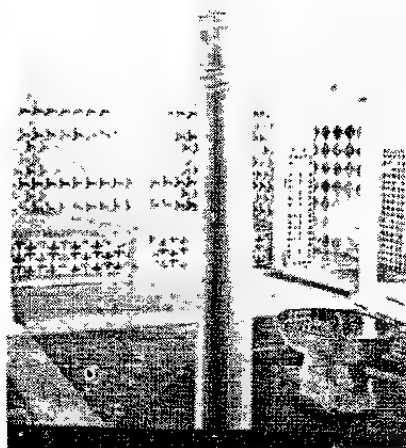
Una torre mudéjar
Iglesia de San Francisco
Cali, Colombia



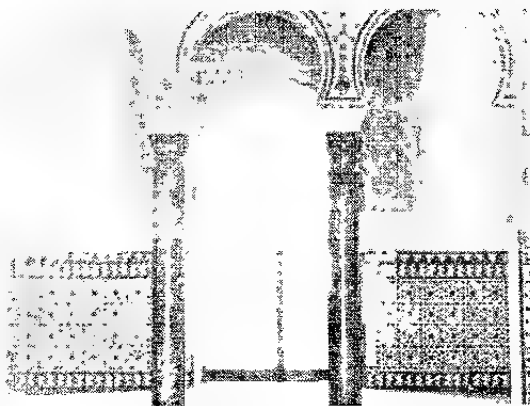
La Alhambra
Aculejos (cerámica)
Granada, España



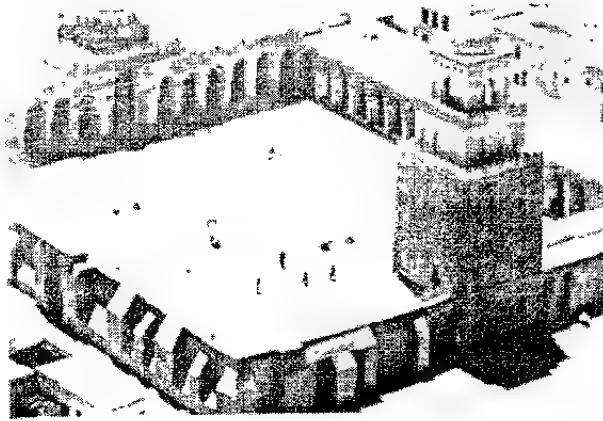
Banca
Trabajo cerámico
México



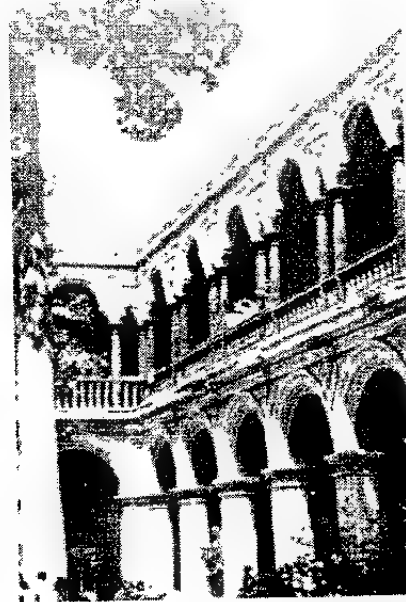
Los Baños Reales
Trabajo cerámico
La Alhambra
Granada, España



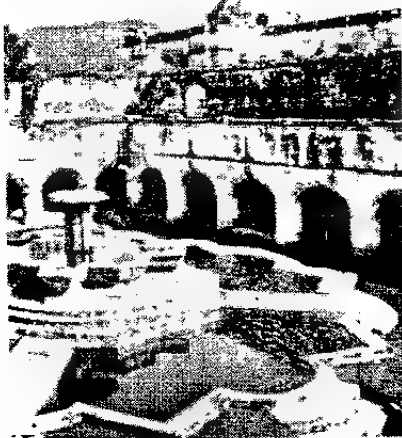
La Alhambra
Pared con Mosaicos en el
Salón de los Embajadores
Granada, España



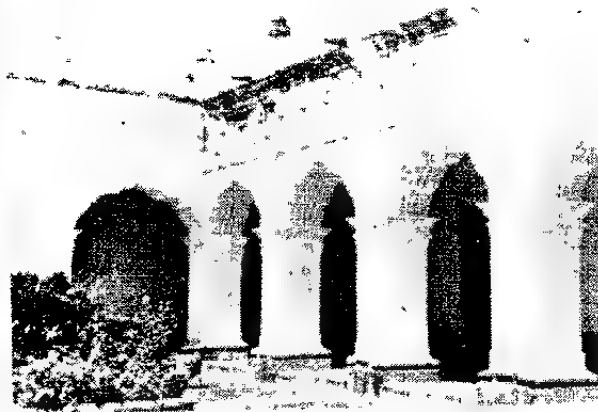
La Gran Mezquita de ^CUqba ibn-Nāfi^C
 Patio y Alminar
 Siglo VIII
 Qayrawán, Tunisia



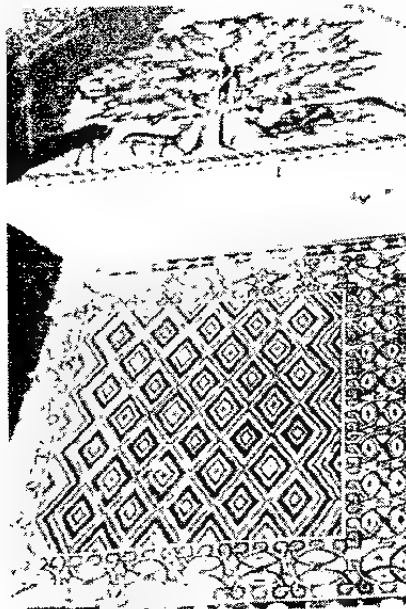
Claustro de la Merced
 Lima, Perú



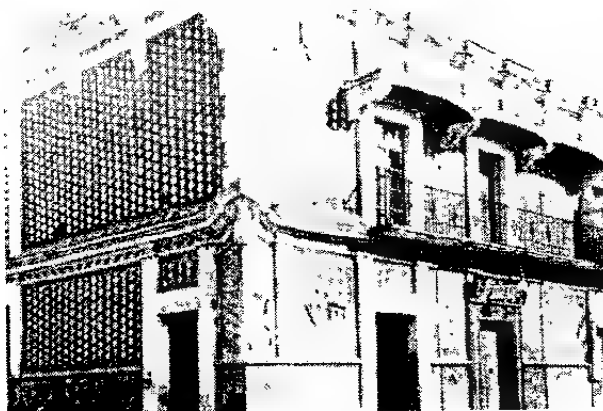
Convento de la Merced
 Fuente Mudejar
 Antigua, Guatemala



Claustro de la Universidad de San Carlos colonial
 Mediados del Siglo XVIII
 (hoy Museo Colonial)
 Antigua, Guatemala



Piso en mosaicos en el
Salón de los Embajadores
Siglo VIII
Jirbet al-Mafdchar, Siria



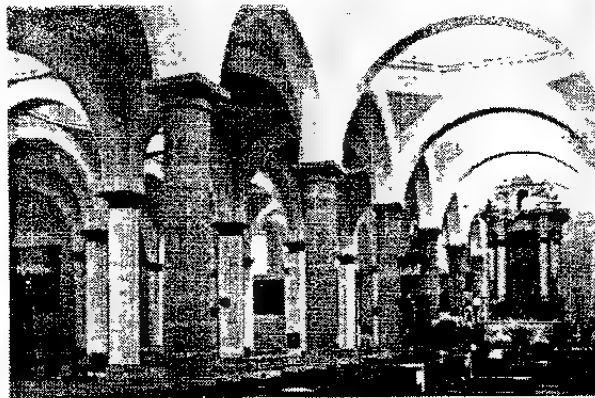
Casa de Alfeñique
(cubierta de azulejos)
Siglo XVIII
Puebla, México



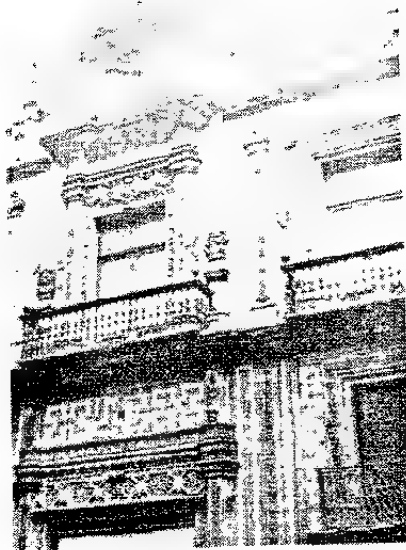
La Gran Mezquita de Córdoba, Interior
(Obra de Abdurrahman III)
Siglo X
Córdoba, España



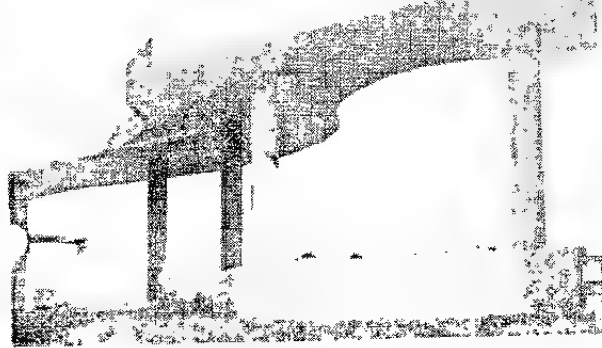
La Cúpula Verde del Profeta
Anexo Contemporáneo
Siglo XX
Madrina, Arabia Saudita



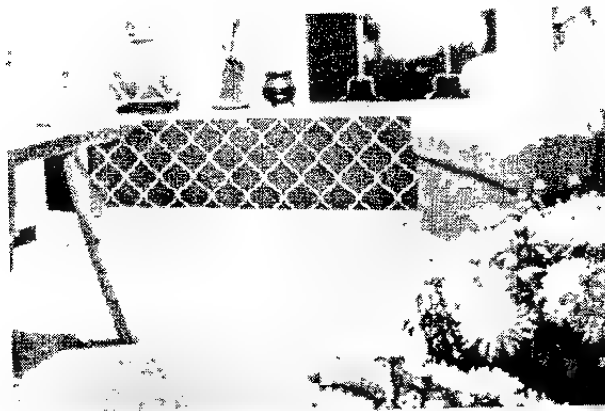
La Capilla Real
Siglo XVI
(Cholula, Pue., México)



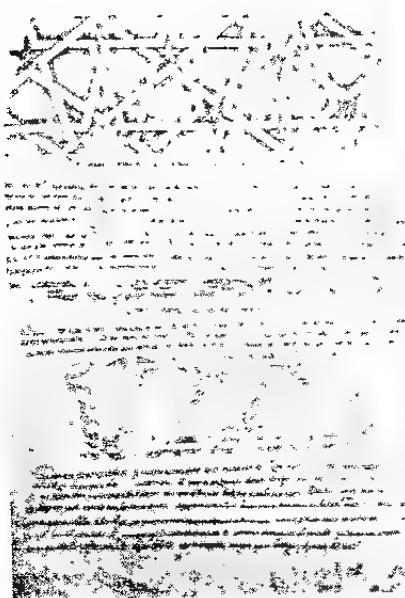
Casa de los Azulejos "Sanborn's"
Siglo XVIII
Mexico, D.F



Trabajo cerámico (Siglo XX)
Centro para Recreos
Pampulha, Minas Geraes
Brasil



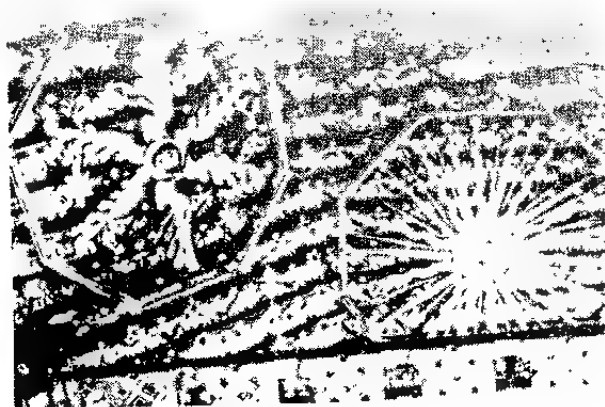
Hogar Contemporáneo
Piso y Revestimiento con Baldosas
Estados Unidos



Una página de la *Carpintería Muñajar*
de Fray Andrés de San Miguel
Biblioteca de la Universidad de Texas
Austin, Texas, EE. UU.



Artesonado o Techumbre
Siglo XVI
Tzintzuntzán, Michoacán, México



Artesonado o Techumbre en Madera
Siglo XVII
Tunja, Colombia

فهرس الكتاب

صفحة

1	تقديم
2	- مقدمة
5	- حياة الموريسكوس الأخيرة بـ إسبانيا
5	I - نظرة شاملة عن وضعيتهم الاجتماعية والدينية
15	II - وضعية أراضى لموريسكوس لفلاحية
17	III قضية استغلال الماء عند لموريسكوس
18	IV - نظرة عن المعاملات في ميدان الفلاحة
20	V - نظرة عن الحالة لاقتصادية ..
20	VI - طرد لموريسكوس
24	- لموريسكوس في المغرب
24	I - مقدمة
25	II لطرق التي نهجها لموريسكوس في هجرتهم
28	III كم كان عدد الموريسكوس الذين هاجروا إلى المغرب
28	IV استقرار الموريسكوس بالمغرب
32	V اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي
34	VI أفوقى ..
39	VII جمهورية سلا لموريسكية
42	VIII - الموريسكوس في جيش المنصور لسعدي لفتح السودان
44	IX تأثير الموريسكوس في الميادين لعلمية و لثقافية والفنية
48	الموريسكوس في الجزائر ..

-
- 54 - الموريسكوس في تونس
- 60 الموريسكوس في تركيا وأورب الشرقية
- 62 - الموريسكوس في أمريك

المراجع

- 1- ألمرية الموريسكية ALMERIA MORISCA
المؤلف: نيكولاس كبرينا NICOLAS CABRIANA
جامعة غرناطة - 1989
- 2- موريسكوس مملكة غرناطة
LOS MORISCOS DEL REINO DE GRANADA
المؤلف: خوليو كارو باروخا JULIO CARO BAROJA
Editi Istmi 1991
- 3- مجلة مجمع الأبحاث بغرناطة رقم 5 - لعصر لثاني
REVISTA DEL CENTRO DE ESTUDIOS HISTÓRICOS
DE GRANADA Y SU REINO
1991
- 4- مدجنو قشتالة LOS MUDEJARES DE CASTILLA
المؤلف: ميغيل أنخيل لا ديرو كيسادا
MIGUEL ANGEL LADERO QUSADA
جامعة غرناطة 1989
- 5- دون كيخوطي دي لا مانشا
DON QUIJOTE DE LA MANCHA
المؤلف: ميغيل دي سيرفانتيس سافيدر

MIGUEL DE CERVANTES SAAVEDRA

الجزء الثاني 1958

6- الحياة الدينية للموريسكوس

VIDA RELIGIOSA DE LOS MORISCOS

المؤلف: بيدرو لونكاس PEDRO LONGAS

1915

7- المدن الإسبانية المسلمة CUIDADES HISPANO-ISLAMICA

المؤلف: ليوبولدو طوريس بالباس

LEOPOLDO TORRES BALBAS

8- الموريسكوس قبل وبعد الطرد

LOS MORISCOS ANTES Y DESPUES DE L
EXPULSIÓN

المؤلف: ميكل دي إيسبالزا MIKEL DE ESPALZA

1992

9- المنطري الغرناطي مؤسس تطوان

AL MANDRI EL GRÁNADINO FUNDADOR DE
TETUAN

المؤلف: غييرمو غوسالبيس بوسطو

GUILLERMO GOSALBES BUSTO

الطبعة الثانية 1993

10- القصر الكبير 1950

AL CAZARQUIVIR 1950

معهد الجنرال فرانكو Instituto General Franco

1953

11- المخطوط القرمزي

المؤلف: أنطونيو غالـا ANTONIO GALA

1996

12- حرف الفن المدجن بأمريكا

LA ARTESANIA MUDEJAR EN LAS AMERICAS

المؤلف: طوماس ارفينغ THOMAS IRVING

الولايات المتحدة 1992

13- مذكرة عن الملك سيباستيان

ITINERARIO DE EL REI DON SEBASTIAN

المؤلف: خواكيم فريسيمو سيراو

JOAQUIM VERISSIMO SERRÃO

.1963

14- تاريخ البرتغال HISTORIA DE PORTUGAL

المؤلف: ألفيرا ماركيس OLIVERA MARQUES

صدر للمؤلف

- محنة المورييسكوس بإسبانيا

الطبعة الأولى سنة 1980

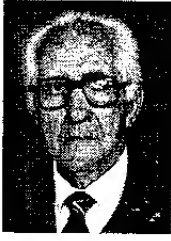
- تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان

سنة 1989

- محنة المورييسكوس بإسبانيا

الطبعة الثانية سنة 999

- للمؤلف أبحاث أخرى تحت الطبع



- من مواليد 9 نوفمبر 1 بمدينة القصر الكبير.
- حفظ القرآن الكريم مع بعض المتون بنفس المدينة.
- في عام 1937 انتقل إلى تطوان والتحق بالمعهد الحر الثانوي.
- حاصل على دبلوم مدرسة المعلمين بتطوان.
- في عام 1940 عين مدرسا مشرفا على البعثة الطلابية المغربية بمدير المرافقة لحواي المهدي نجل خليفة السلطان بشمال المملكة آنذاك.
- عمل أستاذا للغة العربية بكلية الآداب والفلسفة بجامعة مدريد المركزية لمدة عشر سنوات.
- باحث في التراث العربي الأندلسي بمكتبات إسبانيا بتعيين من الدوائر الرسمية الثقافية بتطوان. نشر عدة مقالات في الموضوع في عدة صحف ومجلات.
- عند استقلال المغرب عين قائدا لقبيلة بني سعيد بعمالة تطوان.
- في سنة 1958 التحق بوزارة الشؤون الخارجية.
- في سنة 1959 عين قنصلا للمغرب بمدينة الجزيرة الخضراء.
- في سنة 1960 عين قنصلا للمغرب بمدير.
- في سنة 1965 عين قنصلا بمدينة سيدي بلعباس بالجزائر.
- في سنة 1967 عين مكلفا بالشؤون القنصلية بسفارة المغرب بالمملكة العربية السعودية.
- في سنة 1968 حصل على وسام الرضى من الدرجة الأولى.
- في سنة 1969 عين سكرتيرا بسفارة المغرب بالبرازيل ثم قائما بالأعمال بنفس السفارة. وفي سنة 1974 عين مستشارا بسفارة المغرب بالبرتغال.

مبادرات أهل الحديث في تطوان